الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

الموضوع:

رثاء العلماء و الأدباء في شعر محمد العيد آل خليفة

إعداد الطالب (ة): بن عدلة سماح

إشراف الأستاذ الدكتور: زمري محمد

لجنة المناقشة		
أ.الدكتورة	عمارة حياة	رئيسا
أ.الدكتورة	ساسي بدرية	ممتحنا
أ.الدكتور	زمري محمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي: 1438-1439/2016-2017

قال الله تعالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

الآية 19 من سورة النمل

شكر و تقدير

يسرني و يسعدني بعد الانتهاء من إعداد هذه الدراسة أن أتوجّه بعظيم شكري و امتناني لأستاذي المشرف:

الأستاذ الدكتور "زمري محمد"، اعترافا له بالجميل الكبير في إنجازها من خلال توجيهاته الرشيدة فله منّي كلّ التقدير و الاحترام.

و إلى كلّ من ساهم إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد فلهم منّي جزيل الشكر.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى والدي الذي كان ينتظر هذه اللحظة لكنّه انتقل إلى رحمة الله ولم تكتمل فرحته بي....

إلى أميّ الغالية التي حملتني وهنا على وهن.....

إلى أختي سندي و قوتي.....

إلى أساتذتي الكرام بقسم اللغة العربية و آدابها، على ما قدّموه لي من علم و معرفة في المسار الدراسي.....

مقدمة

يتضمن الشعر العربي العديد من الفنون التي تختلف أشكالها و خصائصها، حسب المضامين التي يحتوي عليها ويتطرق إليها كل لون من الفنون الشعرية. و الواقع أنّ الرثاء من الفنون الشعرية التي برزت و أُتقنت عند كثير من الشعراء منذ العصر القديم ولا يزال استخدامه قائما إلى يومنا هذا.

و الحقيقة أنّ التراث العربي غنيّ بعدد كبير من الشعراء الذين شغفوا بقول الرثاء و هاموا في جودته وصاغوه في أروع صور العاطفة الحزينة، في الجاهلية و الإسلام و العصر الحديث.

يعدّ الرثاء غرض من أغراض الشعر الغنائي الوجداني المترجم لما يرد في نفس الشاعر من أحاسيس و عواطف، وقد خصّص الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة جزء في ديوانه الشعري ضمّ صورة من المراثي، التي عبّر فيها عن كثير من رجال العلم و الأدب و الإصلاح بالجزائر، و غيرها من البلدان العربية.

و لهذا وقع اختياري على دراسة رثاء العلماء و الأدباء في شعر محمد العيد آل خليفة، رغبة منّي في معرفة عبقريته الشعرية في تمجيد ذكرى علماء و أدباء وافتهم المنيّة، فهو شاعر لقي كثيرا من الاهتمام في جمع وفير من الدراسات و البحوث الخاصّة بأدبه و شعره.

وفي ضوء هذا الاختيار أجبت على مجموعة من التساؤلات أهمها:

-ما تعريف الرثاء؟ و ما هي أنواعه؟

-فيما تتجلى مهارة محمد العيد الشعرية في رثائه للعلماء و الأدباء؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة ارتأيت تقسيم بحثي إلى مدخل فيه تطرقت إلى مفهوم فن الرثاء و أنواعه، ثم ذكرت تطوره عبر العصور الأدبية بدءا من العصر الجاهلي مع المهلهل وصولا إلى العصر الحديث مع محمود سامي البارودي و حافظ إبراهيم.

بعد المدخل قسمت البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: تناول دراسة تفسيرية لحياة الشاعر، قدّمت فيه البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها ونشاطه الثقافي و الفكري و العلمي الذي عُرف به.

أما الفصل الثاني: فهو تطبيقي خصصته لتحليل قصائد الرثاء في شعر محمد العيد آل خليفة، التي ألقاها في عدّة مناسبات لتقديم عزائه في علماء و أدباء كانوا ذو مكانة عظيمة، ثمّ انتقلت إلى الدراسة الأدبية لهذه القصائد مما جاء فيها من أفكار و عاطفة و أسلوب.

ويتبعه الفصل الثالث: الذي تناول المستوى الإيقاعي في قصائد محمد العيد، و تضمّن البحور المستعملة و القافية و الروي، كما اشتمل على الإيقاع الداخلي الذي درست فيه الجناس و التكرار و لزوم مالا يلزم.

و أخيرا أنهيت البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ذكرت قائمة المصادر و المراجع المعتمد عليها، بالإضافة إلى محتوى الموضوعات.

و حتى تكون هذه الخطة في المستوى المطلوب كان من الضروري اختيار المنهج المناسب لها، لذلك اعتمدت المنهجين الوصفي و التحليلي، باعتبارهما المناسبين للاطلاع على عاطفة الشاعر في قصائده الرثائيّة.

وقد استعنت في هذا البحث على عدّة مصادر و مراجع من بينها: ديوان (محمد العيد آل خليفة)،كتاب (شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة) لأبي القاسم سعد الله الذي أفادني في الاطلاع على منزلة الشاعر محمد العيد الأدبية و الثقافية، و كتاب (فنون الشعر العربي) لشوقي ضيف، بالإضافة لكتاب (الشعر الجزائري الحديث) لمحمد صالح ناصر.

و كان من الطّبيعي أن تعترض طريق البحث نوع من الصّعوبات تمثلت في ندرة الدوريات التي تناولت مراثي محمد العيد آل خليفة.

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفضيل المشرف "**زمري محمد**" الذي كان مرشدا منيرا من خلال توجيهاته الصائبة في كلّ خطوة من خطواتي في تقديم هذا العمل، أدام الله حياته و أبقاها إفادة للطلبة و الحمد لله ربّ العالمين.

أفريل 2017

بن عدلة سماح

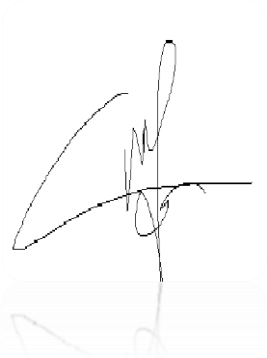

مدخل

يعدّ الرثاء من الموضوعات المعروفة في فنون الشعر العربي، حيث يعبّر فيه الشاعر عن حزنه وتوجّعه لفقدان شخص عزيز عليه فيبكيه في شعره ذاكرًا صفاته النبيلة، وفق عاطفة مليئة بالحزن والشعور بالحسرة، والحزن أيضا عاطفة إنسانية وليدة همّ أو نتيجة متوقعة عنه.

«والرثاء يقترن بالموت، وليس في العالم أمّة لم تعرف الرثاء كما أنّه ليس فيه أمة لم تعرف الموت، فالرّثاء وجد عند كلّ الأمم و الشعوب باديةً وراقيةً متحضّرة، وتبقى علاقة الإنسان بالموت مستمرة، لأنّه المصير الأكبر الذي تحددّه إرادة الله و مشيئته»[1]

فالرثاء إذن ورد على الألسنة منذ القدم و ظهر في الأدب العربي بكثرة، فتاريخ البشر مرتبط ببعض الأحداث المؤلمة.

«وليس بين الرثاء و المدح فرق، إلا أنّه يخلط بالرّثاء شيء يدلّ على أنّ المقصود به ميت مثل كان»[2] وعليه فإن الرثاء شبيه بالمديح لا من حيث المشاعر والعواطف، وإنّما هذا الأخير يتحدث عن صفات الممدوح ويبرزها بعاطفة تعمّها البهجة و الانبساط و سبيل الرثاء نفسه لكن موطنه العاطفة الحزينة، وفي كلتا الحالتين يعبّر الشاعر عن صدق أحاسيسه تجاه الممدوح أو المرثي.

لا شكَّ أنّ هذا الفنّ قد اِرتقى خلال العصور، وعبر الأجيال حتى أصبح شكلا من الفنون الأدبيّة، حيث اِرتكز على العاطفة لاتصاله الدائم بما يجول في نفس الإنسان إثر اِصطدامه بأيٍّ فاجعة في هذه الحياة، وعرفت العرب الرّثاء منذ الجاهلية، « **إذْ كانت النساء والرجال يندبون الموتى، ويؤَبّنونهم مُثْنين على خصالهم فيذكرون مناقبهم، ويُعدّدون فضائلهم، ويشهرون محامدهم، فيُعبّرون عن جراحهم وأحزانهم بمضامين مُبكية».**[3]

---

[1] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1119، ص9.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، بيروت، باب الرثاء، ط5، 1981، ص308 .

[3] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص7

لقد اِشتهر كثير من الشعراء بهذا الفنّ، بدأً بالمهلهل و الخنساء في العصر الجاهلي، وحسّان بن ثابت في عصر صدر الإسلام، وظهر جرير في العصر الأموي، المتنبي في العصر العباسي، وصولاً إلى أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في العصر الحديث[1]، وقد تطورّت صور الرثاء واِختلفت نماذجه ودوافعه، التي اِرتبطت بمعاني الندب، التأبين والعزاء.

1-التعريف اللغوي: الرثاء في اللّغة مشتق من الفعل (رثَى)، (رثَا)، يقال:

- (رثَا، رثَى): رَثَى فُلَانٌ فُلَانًا يَرْثِيهِ رَثْيًا وَمَرْثِيَةً، أَيْ يَبْكِيهِ وَيَمْدَحُهُ. والإسم: المرثية. ولا يَرْثي فُلَانٌ لِفُلَانٍ، أَيْ لَا يَتَوَجَّع إِذَا وَقَعَ فِي مَكْروه، و المتَرَثِّي: المتَوجّعُ المفْجُوع.[2]

-(رثا، رثى): الرَثية بالفتح وجع الرّكبتين و المفاصل، **قال حُمَيْدُ يَذكر كِبَرَهُ: ورثِيَةٌ تنهضُ بالتشدُّدِ ويروي: في تشدُّدِي و الجمع رَثَيَاتٌ.**[3]

ورثيتُ الميّت مَرْثيةً، وَرَثَوْتُهُ، إذا بَكيْتُهُ، وعدَّدْتُ محاسنَهُ كذلك إذا نَظَمْتُ فيه شعرًا، ورثَى لهُ، أي رحمه و رَقَّ لَهُ.

-أَرثِي رِثايَةً: ذَكَرْتُهُ و حَفظْتُهُ، وَاِمْرَأة رثَّاءَةٌ وَرَثَايَةٌ أَي نَوَّاحَةٌ.

رَثَى الميت: يرثيهِ رثْيًا ورِثايَةً ورِثَاءً ومَرْثَاةً ومَرْثِيَةً، بكاهُ وعدَّدَ محاسنَهُ[4].

2-التعريف الاصطلاحي:

الرثاء في الإصطلاح هو تأبين الميت، وبكاؤه والتفجع عليه، وذكر محاسنه وفضائل أخلاقه وتصوير ما يترك فقده من أثر الأسى و الحسرة و الفزع في القلوب، فتذكر صفات المدح مبللة

[1] – فوّاز الشعّار، الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999، ص116.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ، المجلد الثاني، ص97 –98.

[3] – الإمام إسماعيل بن جهاد الجوهري، الصحّاح، ترتيب مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط3، 2008، 115 ص.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، كتاب الراء، فصل(رثى)، ط1، 2003، ص 149.

بالدموع، حتى **قال قدامة بن جعفر:« ليس بين المرثية والمدحة فرق إلّا أن يذكر في اللّفظ ما يدّل على أنّه هالك مثل تولّى وقَضَى وما أشبه ذلك.»**[1]

والرثاء في الأصل ترجمة لمشاعر الوجدان و عاطفة الألم حيال حادثة الموت، بحيث تختلف طبيعته باختلاف صلة الراثي بالميْتِ، وشخصية المرثيِّ.[2]

3-أنواع الرثاء:

يُعدّ الرِثَاء من أفضل أنواع الشّعر وأكثرها أهميّة وصدقًا وعُمقًا في التعبير، وغالبًا ما تكون ألوانه مجتمعة مع بعضها. يمكن التعبير عن الرثاء بثلاثة ألوان تمثلت في:

أ-الرثاء العاطفي (الندب):

الندب هو النواح والبكاء على الميت بعبارات وألفاظ محزنة، تهز القلوب القاسية، وتسيل الدموع من العيون الجامدة. وقد اِرتبط الندب بالنواح في البداية على مقطوعات كانت تؤلفها النسوة مغمورة بالتوجّع ،التأوّه، الصياح، العويل و النحيب على الميت.

ومع مرور الزّمن اِنفصلت صناعة الندب عن صناعة الشعر، فأصبحت تُصَبُ في المآتم مجموعة من الأشعار تُصنع للمفقود بدل مرثية المناحة من طرف المحترفون من الشعراء منهم رجالًا ونساءً.[3]

إنّ أصل الندب والنواح في الغالب يكون على الأهل والأقارب، وقد يبكي الشاعر نفسه ساعة

الإحتضار حين يحس بالموت، فيفرغ ألمه و حزنه في أبيات، كذلك تجد ندب الأزواج، الأبناء، الإخوة و الأقرباء ومختلف ذوي الأرحام، و الأعزاء من الأصدقاء، كذلك بكى مجموعة من الشعراء شخص

[1] – ينظر. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء3، ط1، 2000، ، ص81 .

[2] – ينظر. عمر فاروق، فنون الشعر العربي، دار القلم، بيروت، 1991، ص191.

[3] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص12.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته و خلفاءه وأهل بيته[1]، كما اتصل هذا النوع برثاء المدن و الدول و الأوطان.

• **ندب الأهل و الأقارب:** يعتبر ندب الأهل و الأقارب ومن نزل منزلتهم من الإبن، الأخ، الزوج و الزوجة، الأم، الأحبة و الصديق[2]، من أقدم الصور في الشعر العربي، و قد شاعت المرأة الجاهلية في هذا النظير حيث كانت تنوح باكية على فقيدها من أبٍ و أخٍ.

و أشهر النساء في العصر الجاهلي و أرثاهن هي الخنساء بنت عمرو السَّلَمِية، التي رثت أخويها معاوية و صخر بأبيات شعرية، معبّرة فيها عن حزنها الشديد حتى ضُرِبَ بها المثل في الحزن و البكاء، كانت الشاعرة تُعزُ أخاها صخرًا كثيرًا، فبكته بكاء حارًا بعد موته[3]، وسكبت آلامها كاشفة عن قلبها الحزين في هده المقاطع قائلة:

قَذًى بِعَيْنِكَ أم بالعَينِ عُوَّارُ أَمْ ذَرَّفَتْ إذْ خَلَتْ من أَهْلِهَا الدَارُ

كَأنَّ عَيْنِي لذكراهُ إذَا خَطَرَتْ فَيْضٌ يَسيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدْرَارُ

فالعَيْنُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا وَ دونَه من جديد الأرضِ أَسْتَارُ [4]

و أوضحت الخنساء في هذه الأبيات عظيم الفاجعة التي أصابتها في فقيدها صخر، فعبّرت عن حزنها بقذى العين وهو مرض يصيب العين فلا تكاد تبصر النور، و المقصود أن عينها لم تعد تبصر أحدًا بعد صخر، وهي ترى أن العالم خلا من النّاس بعد موته.

ومن الشعراء الذين اِشتهروا برثاء الأبناء، أبو ذؤيب الهذليّ الذي آلمته فاجعة موت أولاده السبعة[1]، فراء الشاعر يخاطب نفسه على شدّة توجعها لموت أبنائه قائلا:

---

[1] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص31.

[2] – عمر فاروق، فنون الشعر العربي، دار القلم، بيروت، 1991، ص192.

[3] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، مرجع سابق، ص 14.

[4] – الخنساء، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط2004،2 ، ص 4.

قالَتْ أُمَيْمَةُ ماَ لِجِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ اِبْتَذَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
فَأَجَبْتُهَا أ مَا لِجِسْمِي إِنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ البِلَادِ فَوَدَّعُوا
أَوْدَى بنِيَّ و أَعْقِبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُقْلِعُ [2]

أمَيمَة هي زَوجته، وهو هنا ينقل لنا الحوار الذي دار بينه وبينها وهي تستفهم عن سبب شحوب لونه، وكأن الدّم توقف في عروقه ونحول جسمه فالشاعر يصوّر لنا مظاهر الحياة أي رغم اِمتلاكه للمال أصبح شاحب اللون بعد فقد أبنائه.

- **ندب الشعراء أنفسهم:**

أما بكاء الشاعر نفسه، فيقال إنّ أقدم من فعل ذلك شاعر جاهلي هو يزيد بن خذّاق، إذ قال:

هَلْ للفَتَى مِنْ بَناتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ أم هَلْ لَه من حِمَام الموتِ من راقِ
قَدْ رَجَّلُوني ومَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَثٍ وأَلْبَسُوني ثِيَابًا غَيْرَ أخْلَاقِ
وَأَرْسَلُوا فتيةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فِي ضَرِيح القَبر أَطْبَاقِي [3]

بكى الشاعر في هذه الأبيات نفسه ذاكرًا مصيره المختوم تحت التراب، تاركًا الدنيا بما يعمّها، لما حانت ساعة رحيله عنها.

- **ندب الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام:** حينما اِختار الله تعالى نبيه محمدًا إلى جواره بعد تبليغه الرسالة وأدائه الأمانة. اشتدّ حزن الصحابة–رضوان الله عليهم–لهذا المصاب الجلل، وتحولت المدينة إلى بركان يرمي بحمم الفاجعة، واِشتعَلَتْ نيران الحزن والأسى في كل صدر، وخرج الصحابة يصلّون على النبيّ ويُودّعونه بقلوب حزينة وعيون دامعة.

[1] – عمر فاروق، فنون الشعر العربي، دار القلم، بيروت، 1991، ص192.
[2] – أبي ذؤيب الهذلي، الديوان، دار الكتب المصرية، بور سعيد،ط1 ،2014ص47.
[3] –ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص30.

وكان من بين الذين رثوه فأحسنوا الرثاء حسّان بن ثابت[1]، الذي صوّر ما يتردّدُ في صدره من حزن عميق في هذه الأبيات المختارة من قصيدة طويلة:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسولِ وَ مَعْهَدُ مُنِيرٌ، وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ و تَهْمَدُ
وَلَا تَنْمَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ بِهَا مِنْبَرُ الهَادِي الذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ، وَبَاقِي مَعَالِمٍ، وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَ مَسْجِدُ[2]

فقد شرح الشاعر ما بطيبة من آثار الرسول صلَى الله عليه وسلم، ومن أماكن كان يتردّد لها هو وأصحابه لينير طريق الحائرين، ويهدي الضالين، وأنَّ ما تركه من آثار لن تزول أبدًا، بل هي خالدة لأنّها متصلة بعقل وروح وقلب الإنسان.

• **ندب الدول و البلدان:** يُعتبر هذا الندب باب من الرثاء، عرفه شعراء المشرق والمغرب، فبكوا خراب المدن و زوال الدول بقصائد خلّدها التاريخ في مصادره المختلفة، فيذكر في الشرق بلدة بغداد و الكارثة التي حلّت بها فَبَكاها و نَدبها كثير من الشعراء[3]، فقال بعضهم:

بَكَتْ عيني علَى بغدادِ لمّا فَقَدْتُ غضَارةَ العيش الأنيقِ
أَصَابَتْهَا مِنَ الحُسَّادِ عَيْنٌ فَأفْنَتْ أهلها بالمَنْجَنيقِ فَقَوْمٌ
أُحْرِقُوا بالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ [4]

بكت عين الشاعر حزنًا بما أصاب مدينة بغداد، فصوّر الخراب والدّمار والقتل الذي لحق بأهلها في نغمة محزنة.

ب– الرثاء المديحي (التأبين):

[1] - ينظر: شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص35

[2] – حسّان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1993،60 ص.

[3] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، مرجع سابق، ص47

[4] –ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص47.

اِرتبط مفهومه في البداية بالثّناء على الشخص حيًّا أو ميّتًا، ثمّ اِقتصر في معناه على الميت، حيث كان من المعروف في الجاهلية الوقوف على قبر الميت، وذكر خصاله الجيّدة وأخلاقه الحميدة[1]. وقد تناول الشعراء في هذا اللون:

• **تأبين الخلفاء والوزراء:** ويضرب مثلا في تأبين حسّان لخليفة الرسول صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، الذي كان من أبرز الشخصيات التي لها دور كبير في مسيرة الدّعوة الإسلامية[2]، وفيه يقول حسان مؤبّنًا:

إذَ تَذَكَّرتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فاذكر أخَاكَ أبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ البَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وأَعْدَ لَهَا بَعْدَ النَبِيّ و أَوفَاهَا بِمَا فَعَلَا الثَانِي
اثنينِ و المَحْمُودَ شيمَتُهُ وأَوَّلَ النّاسِ طُرًّا صَدَّقَ الرُّسُلَا[3]

ذكر حسّان في هذه الأبيات محاسن أبي بكر المشهورة عند المسلمين، باعتباره أفضل الأمّة مكانة ومنزلة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ورفيقه في هجرته وخليفته.

• **تأبين العلماء و الأدباء:** من المعروف أن نجد مكانة للعلماء و الأدباء في التأبين و الرثاء، لاتصالهم بالشعر و الشعراء ثقافيًا و دينيًا، قد بكَى بعض الشعراء الإمام مالك و كتابه " الموطأ " :

إمَامٌ مُوَطَّاهُ الذي طُبِّقَتْ بِهِ أقالِيمُ فِي الدُّنيَا فسَاحٌ و آفاقُ
لهُ سَنَدٌ عَالٍ صَحِيحٌ و هَيْبَةٌ فلِلْكُلِ منهُ حينَ يَرْوِيهِ إِطْراقُ [4]

يُبْدِي الشاعر إعجابه بسلوك الإمام العلميّ، مشيرًا لمضمون كتابه المَوَطّأ من أحاديث موثوقة وصحيحة السَّنَدِ.

[1] – ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص52.
[2] – المرجع نفسه، ص 56.
[3] – حسّان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1993، ص15.
[4] –ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص70.

ج- الرثاء الحكمي (العزاء):

وسمّاه البعض رثاء "العزاء" أو "التعزية" وهذا اللون مبنيٌّ في أصله على إدخال الصّبر والسُلْوان على القلب المتوجّع، فالشاعر هنا لا يعدّد محاسن الميّت كما في التأبين، بل يواسي أهل الفقيد ويعظهم. [1]

أشهر من نظم في هذا النّوع من الرثاء: المتنبي، أبو العتاهية، حافظ إبراهيم و البحتري و غيرهم، وقد تمثل في:

- **العزاء في الأهل:** كان الشاعر في العصر الجاهلي و قبل ظهور الإسلام يعزي نفسه أوّلا في الفقيد من الأهل ثمّ لغيره، و بحلول الإسلام تغيّرت هذه النظرة إلى تخفيف فاجعة الحزن على أهل الفقيد في أبيات تُذكِر بحتمية الموت الواجبة على كلّ النّاس، وعلى سبيل ما قاله بعض الشعراء

لعمر بن عبد العزيز في ابنه عبد الملك:

تَعَزَّ أَمِيرَ المؤمنين فإنّه لما قد ترى يُغْذَى الصغير و يولَدُ

هل ابنُك إلّا من سلالة آدمٍ لكلٍّ على حوْض المنيةِ مَوْرِدُ[2]

فالشاعر وقف هنا ليذكر أنّ الموت حتم وواجب على كافة الناس، فلا يسلم منه أحد، وكلّ إنسان مأواه الأخير إلى القبر.

4- تطور الرثاء عبر العصور الأدبية:

لقد تطور هذا الفن عبر العصور الأدبية آخذا معه أنواعه و أعلامه أمثال: المهلهل، الخنساء،جرير و بن الرومي وغيرهم من الشعراء الذين برعوا في هذا الضرب.

[1] -ينظر. عمر فاروق، فنون الشعر العربي، دار القلم، بيروت، 1991، ص197.

[2] - ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص89.

أ- الرثاء في العصر الجاهلي: كان الرثاء الجاهلي في معظمه رثاء الأفراد، تناول رثاء الأقارب حسرة عليهم، وتناول رثاء الأبطال اعترافا بفضلهم، و كان من عادتهم كما يقول ابن رشيق أن يضربوا الأمثال بالملوك الأعزّة، و الأمم في السالفة[1]، ومن أمثلة ذلك رثاء المهلهل لأخيه كليب قائلا:

أَهَاجَ قَذاءَ* عَيْنِي الإِذِّكَارُ هُدُوًّا، فالدُّموعُ لَهَا إِنْحدارُ وَصَارَ
الليلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَأنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارَ [3]

يبدأ الشاعر أبياته بصورة الحزن و الهمّ الذي لازمه و أتعبه و أبعد النوم و السكينة عنه لفقدانه كليبًا حتى أضحى حاله مثل سواد اللّيل.

ب- الرثاء في صدر الإسلام: واصل الشعراء في هذه الفترة ينظمون مراثيهم على الطريقة الجاهلية، غير أنّه ظهرت في مراثي المسلمين منهم قيم دينية و أخرى خلقية، كانت وليدة الرسالة المحمدية، وقد ظهرت في هذا العصر نزعة تقوم في العزاء وذلك بالتسليم لله والرضا بقضائه، و الصّبر على امتحانه[4] اقتداءً بقول المولى عزّ و جلّ في سورة البقرة الآية 155-157: ﴿ **وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الذِينَ إِذَا أَصَابَتهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ من رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ، وأولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ**﴾.

و من أمثلة الرّثاء في العصر الإسلامي ما جاءت به صفية بنت عبد المطلب في رثائها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة:

أَلَا يَارَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا ولَمْ تَكُ جَافِيَا

---

[1] -ينظر. رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعراء و آدابه، دار الجيل، بيروت، باب الرثاء، ط5،1981 ، ص310.

* - القذى و القذاء: ما يقع في العين فيؤلمها و يسيل دمعها.

[3] – المهلهل بن ربيعة، الديوان ، الدار العالميّة،2008 ، ص31.

[4] – ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص88

وَ كُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا و مُعَلِّمًا لِيَبْكِ عَلَيْكَ اليَومَ مَنْ كان باكِيَا[1]

بكت الشاعرة حزنًا على رحيل الرسول صلى الله عليه وسلم، متأثرة بصفاته و أخلاقه الحميدة التي طالما تحلّى بها.

ج- الرثاء في العصرين الأموي و العبّاسي: لقد إستمرّ الشعراء في عصر بني أمية ينظمون مراثيهم مقتدين بما كان عليه الرثاء في الجاهلية و الإسلام، إلا أنّه ظهر فيه لون جديد هو رثاء الخلفاء و الأمراء و القادة كان هذا مع حلول العصر العباسي، حيث نشطَ فيه الشعراء تأبين الخليفة أو الوزير أو القائد المشهور الذي وافته المنيّة[2].

في هذا القصد قال أبوا نواس في الخليفة العباسي السادس محمد الأمين بن هارون الرشيد:

طَوَى الموتُ ما بيني و بَيْن محمدٍ و ليْسَ لِمَا تَطْوِي المَنِيَّةُ نَاشِرُ لَئِنْ عَمُرَتْ دارٌ بِمَنْ لَا أحِبُهُم فَقَدْ عَمُرَتْ مِمَّنْ أُحبُّ المَقَابِرُ [3]

عَبَّرَ أَبُو نواس عن شدّة حزنه لقدر الموت الذي فرّق بينه و بين الرشيد، هذا القدر المحتّم أخذ من أَحَبَّهُمْ إلى المقابر حتى لم يبقى له من عزيز في الدنيا.

د- الرثاء في العصر الأندلسي: وسار الرثاء عبر العصور حتى ظهرت ضروب جديدة فيه تمثلت في رثاء المدن حين تنزل بها كوارث النّهب و الحرق، كما بكى الشعراء الأندلس حين تعرضت للسّلب من طرف الإنسان، كذلك رثى الشعراء زملائهم الذين سبقوهم إلى الموت فعزموا على التخفيف من أوجاعهم بأبيات

[1] – سراج الدين محمد، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2008، ص13.

[2] – ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، مرجع سابق، ص56.

[3] –أبو نواس الحسن بن هانىء، الكتاب العربي، بيروت، ط2 ، 2001، ص264.

و مقطوعات، فلما تُوفّي أبو العلاء المعري أنشد على قبره أربعة و ثمانون شاعرا مراثي يبكونه فيها.[1]

ونضرب المثل بما جاء في رثاء الأندلس بعد سقوطها من أبيات الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي يقول فيها:

لِكُلِّ شَيءٍ إذَا مَاتَمَّ تُقْصَانُ فلا يُغَرَّ بِطَِيبِ العَيْشِ إنسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتهُ أزْمَانُ [2]

يذكر الشاعر هنا حقيقة الحذر من فكرة لِاغتِرارِ بالدّنيا، فدوامها من المستحيل فينبغي على الإنسان ألا يفرح و يُسَرَّ بطيبتها لأن مصيرها الفناء.

هـ- الرثاء في العصر الحديث: في هذا العصر اِستعاد الشعر العربي قوته على أيدي عدد من الشعراء، اِستطاعوا أن يصوغوه في قوالب الرقيّ فنال الرثاء نصيبه من هذا التقدّم، وأخد شعراء هذا العصر أمثال محمود سامي البارودي، حافظ إبراهيم و أحمد شوقي يتعرضون في رثائهم للمناقب الإجتماعية، وما قام به المرثي في سبيل مجتمعه من وجوه برٍّ وإصلاح كرثاء الزعماء والعلماء الذين يعدّ موتهم خسارة، والشهداء الذين ضحوا بأرواحهم من أجل تحرير أوطانهم [3]، وفي هذا اللّون يقول مفدي زكرياء في مرثية الشهيد الجزائري أحمد زهانة:

قَامَ يَخْتَالُ كالمسِيحِ وَئِيدًا يَتَهَادَى نَشْوَانَ يتلُو النشِيدَا بَاسِمَ

الثَّغْرِ* كالمَلائِكِ كَالطِّ فْلِ يَسْتَقبلُ الصباحَ الجَديدَا[5]

[1] – ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص49.

[2] – أبو البقاء الرندي، الديوان، (دت)، ص4 .

[3] – ينظر. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص78.

* الثّغر: بشوش، مشرق

[5] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987 ، ص65.

يخلّد مفدي زكرياء ذكرى الشهيد مبرزًا صورة الفرح و السرور التي أحاطت بالمناضل زهانة وهو يتقدّم ليلقى مصيره تاليًا النشيد الوطني.

5-خصائص الرثاء:

لقد تميّز هذا الفن بعديد من الخصائص في المجال الفكري تمثلت في:

- إظهار اللوعة والحسرة لفراق الميت.

- ذكر خصال المتوفي و الإشارة بمناقبه مثل الشجاعة ، الكرم، الوفاء ، العِفّة وسعة العلم[1].

- ذكر مكانة الفقيد بين الناس، والفراغ الذي تركه، وآثاره التي خلفها ليستفيد منها غيره.

- أمّا من حيث الأسلوب، فالرثاء يعتمد على مجموع الألفاظ الموحية بمعاني الحزن، العبارات الدّالة على الأسى والصور التي تثير مشاعر الرحمة وعواطف الأسف.

نستنتج مما سبق أنّ الرثاء هو أحد الأغراض الشعرية التي واكبت باقي الأغراض الأخرى منذ ظهورها في العصر الجاهلي، وتناول ثلاثة أنواع تمثلت في الندب والتأبين والعزاء.

لقد إرتبط الرثاء بمفردات الحزن، الشكوى والألم، فبكاء الشاعر عند المصائب التي تمسّه إشارة إلى عاطفته وإلى داخله ومشاعره مما لا نستطيع إدراكه أو رؤيته إلا من خلال مضمون كلامه.

برع كثير من الشعراء في هذا الفن فتحوّلت دموعهم إلى مراثي حزينة، منهم من رثى نبيًّا، أمًا، أبًا أو أخًا، أو ولدًا، صديقًا وفيًا أو ملكًا محبوبًا...إلخ.

[1] -ينظر. أسعد محمد علي النجار، الرثاء عند شعراء الحلة، مجلة مركز بابل للدراسات الحضاريّة و التاريخية، ، العدد2، المجلد 2، 2012،ص61.

من بين الشخصيات المتميزة في الشعر الجزائري الحديث والذي اِحتلَّ مكانة كبيرة في نفوس الكثير لتنوّع وصدق فنّه ومشاعره، إنّه صوت الجزائر والعروبة الذي خلّد بكلماته ذكرى العديد من الأدباء والعلماء، إنّه الشاعر الكبير المبدع محمد العيد آل خليفة.

الفصل الأول

الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904- 1979)

إنّ الأمّة العربية غنيّة برجالها عريقة في تاريخها، أنجبت أبطالا خلّدوا ذكرها وحملوا النّصر في سبيل حريتها، وأصدق هؤلاء الرّجال تمثيلا لأممهم وأبلغهم تصويرًا لها هم الذين عاشوا لها وتأثروا معها في آمالها وآلامها.

لقد تعدّدت الشخصيات السامية في الوطن العربي من بينهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في مصر، أبو القاسم الشابي الملقّب بشاعر الخضراء في تونس، و من بين الأسماء البارزة في تاريخ الأمّة الجزائرية الحافل في ميدان العلم و المعرفة، في البطولة والسياسة هو الأستاذ و الشاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة، الذي توسّع في روح الدّين، اللغة و الشعر. فمنْ هو هذا الشاعر؟

1.1. مولده و نشأته

هو محمد العيد بن محمد علي خليفة ،ولد في مدينة عين البيضاء ولاية أم بواقي، شرق القطر الجزائري، من مواليد28 أوت عام 1904م[1]. نشأ وترعرع داخل أسرة محافظة تغمرها التقاليد الإسلامية من دين وعلم وثقافة عربية أصيلة.

«يعود هذا الشاعر الجزائري في أصوله إلى الصحراء الجزائرية، لذلك فقد بادلها عطاءً بعطاءٍ، فكما منحته نعمة الميلاد والحياة، وأعطته بذرة القدرة اللّغوية باعتبار الصحراء موطن البلاغة والفصاحة مند عهد اِمرئ القيس، كان شاعرًا وداعية ومعلّمًا وخطيبًا وواعظًا، وافر العطاء، لا يعرف البخل، كيف وهو بن الصحراء أرض الكرم و الكرماء»[2]

اِنتقلت أسرته سنة 1918 إلى مدينة بسكرة، فأتمّ حفظ القرآن فيها وهو ابن اربع عشرة سنة على يد أئمة مساجدها، فأقبل على طلب العلوم الإسلامية الدينية والعقلية واللسانية، ثم توجه إلى الجامعة الزيتونية بتونس عام1921، فاندمج في سلك طلبتها وسمع من كبار مشايخها مدّة سنتين،

[1] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

[2] – سليمة كبير، شاعر العروبة و الإسلام، الجزائر، ص6.

ويعلّل الشاعر سبب ميوله العلمي بتونس، قائلا:« **كنت طوال فترة وجودي** بتونس **منكبًا على التحصيل العلمي، مشتغلا به دون سواه لإحساسي أن ما حصلت عليه من الأدب لا يكفيني إلى حين...**» [1] ثمّ عاد إلى بسكرة عام 1923م وإشتغل بالتعليم في المدارس الحُرّة، وأخذ ينشر علمه وأدبه بما يعلم ويلقى، وبما يوزع ويكتب، فظهرت بعض قصائده في صحف المنتقد، الشهاب، صدى الصحراء والإصلاح.

وفي عام 1927م إنتقل إلى العاصمة، وأصبح مديرًا لمدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية، وفيه ذهب الدكتور صالح خرفي يقول في كتابه: «**محمد العيد، شاعر الزهد و التصوف ، شاعر الشباب والجزائر الفتاة العشرينات، وشاعر الشمال الإفريقي والعروبة في الثلاثينات، وشاعر الحكم والمثل في ذروة النضج الشعري، والمعاناة والمقاساة الوطنية في الأربعينات وماتلاها...**»[2]

عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، كان شاعرها وأبرز أعضائها، وأسهم في نشاطها التعليمي، ودافع عن مبادئها وأفكارها، فسمّي حسّان الحركة الإصلاحية. [3]

قضى محمد العيد فترة من عام1941 ومابعدها متنقلاً بين بسكرة ،باتنة، وعين مليلة بالشرق الجزائري، مواضبًا على التعليم والإدارة، وفي عام 1954، ألقى المستعمرون القبض عليه، وزجوا به في السجن بقسنطينة، وبعد أن أفرجوا عنه حددوا إقامته الجبرية في بسكرة وعزلوه عن المجتمع، وظلّ تحت الرقابة حتى تمّ استقلال الجزائر عام1962 م.

بعد الإستقلال عاد محمد العيد آل خليفة إلى ميدانه في التربية والتعليم، وبقي مترددّا بين باتنة وبسكرة، وحضر إلى الجزائر لمناسبات عديدة منها وفاة صديقه ومخلصه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. لقد ساهم شاعرنا الكبير خلال حياته في قضايا النهضة العلمية والأدبية والفكرية

[1] – ينظر. محمد بن سمينة، دراسة تحليلية لحياة محمد العيد خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص48.

[2] – صالح الخرفي، محمد العيد آل خليفة ، الجزائر،2007 ، ص17.

[3] –ينظر. محمد بن سمينة ، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1997، واجهة الغلاف الخارجي

الإصلاحية في وطنه الجزائر العربي الإسلامي، وفيه قال البشير الإبراهيمي: «**محمد العيد آل خليفة أوّل شاعر تشظت عنه صدفة النهضة في الجزائر، وشعره أوّل شعر حي رافق النهضة العّامة وحدا قوافلها المغذة فأطرب، وأوّل شعر جرى في غنائها وسجل مراحلها**»[1]

وفي الأسبوع الثاني من شهر رمضان سنة 1399هـ الموافق ل جويلية 1979م، إلتقط الشاعر أنفاسه الأخيرة بمدينة باتنة، ثم نُقل جثمانه إلى بسكرة، ودفن بمقبرة العزيلات، فسلام عليك ياشاعرنا المؤمن، المخلص في العلماء العاملين، وسلام عليك في الشعراء[2] استنادا لقوله تعالى في سورة الشعراء ال آية227 "... **الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**..."

2.1.صفاته الشخصية:

شغف محمد العيد بدينه، فالتزم به واستقام على طريقه، فتعلّق بوطنه وكافح عنه، بقلبه ولسانه ووجدانه وبمبادرته الإصلاحية. كما تعلق بالاتجاه الإصلاحي، وبتعليم الدّين و المبادئ الإسلامية العربية فأعطى لها وقته وموهبته وجهده، ومما يؤكد هذه الملامح من شخصية الشاعر ما جاء في كلمة للشيخ البشير الإبراهيمي يقول فيها عنه: «**من يعرف محمد العيد ويعرف إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية، يعرف أن روح الصدق المتفشية في شعره إنما هي من آثار صدق الإيمان وصحّة التخلق.**»[3]

فهذا القول للإبراهيمي يبيّن مدى تعلّقه بالحياة الدينية، التي نشأ عليها الشاعر منذ صباه، فأصبح راغبا عن لذة الحياة الدنيا، موليًا وجهه عن زخرفها، يغلب عليه طابع القناعة والتواضع وهاهو ذا يقول في التواضع:

[1] – ينظر. مقدمة كتاب. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل الخليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، المقدمة–ي–

[2] – ينظر. سليمة كبير، محمد العيد، شاعر العروبة و الإسلام، الجزائر، ص30.

[3] – محمد بن سمينة، دراسة تحليلية لحياة محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 41

إنَّ التواضُعَ مِنْ سِماتِ البِرِّ مَن يَعْتَدهُ فَهوَ البِرُّ فِي الأَقْوامِ [1]

كانت هذه الأوساط النفسية في إنسان ربع القامة وسيم الطلعة يجمع بين جوانحه حزنًا مكتوما على حال الوطن والأمّة، تغمره رقّة العاطفة، سرعة التأثر، لطافة الشعور، وتهُزه الكلمة المشحونة ويثيره المشهد الشاحب، وتَدَمَّى قلبه حظوظ البؤساء فيذرف الدمع لما نالهم من مظالم ونكبات ..[2]

لقد تمثلت سماته العامّة في الوضوح و الاستقامة، و التمسك بقيم الفروسية العربية الإسلامية، في حين سماته الخاصّة برزت في تعاطفه و كرمه و إحسانه إلى الفقراء و المحتاجين من أبناء أهله، وذلك لتأثره وميله الكبير لنزعته الصوفية.

« وتكاد شخصيته في هذه الجوانب تقترب من شخصية الشاعر حسّان بن ثابت الأنصاري الذي كان يغزو مع المجاهدين الأوّلين في صدر الإسلام...»[3]

ويقول فيه الدكتور عمر بن قينة: «**هو شخصية متميزة، عكسها شعره الذي رافق مرحلة النهوض السياسي والفكري والإصلاحي، فعبّر عن ذلك بصدق وإخلاص ... منساقا في كلّ الأحوال لقيم الخير والعدل والمحبة والرحمة والتكافل...**» [4]

3.1. مصادر ثقافته:

لقد اِستمدَّ الشاعر محمد العيد ثقافته وعلومه من عدّة مصادر ساهمت بدورها في إثراء إنتاجه الشعري لغة وفكرً وأسلوبًا.

[1] – بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، برج الكيفان، ط1،2011، ص135.

[2] –ينظر . محمد بن سمينة، دراسة تحليلية لحياة محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص36.

[3] – محمد بن سمينة، دراسة تحليلية لحياة محمد العيد خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص34

[4] – بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، مرجع سابق ، ص136 .

أولًا: تعدُّ الأسرة التي نشأ فيها الشاعر أوّل وسيلة اِستقى منها ثقافته، و ذلك لإلتزامها بالإيمان الشديد، و الأخلاق الفاضلة و حبّها العميق للإسلام و الوطن.

ثانيًا: القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد وحجته البالغة على الناس جميعا، وقد وصفه الله بالنور في قوله تعالى من سورة المائدة ال آية15 :﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ**... ﴾

اِعتمادً على هذا القول كان محمد العيد من الحافظين لكتاب الله الكريم، فقد اِستشهد بلفظه ومعناه في كثير من قصائده، ثمّ أقبل على دراسة التوحيد والفقه والنّحو والمنطق وغيرها من العلوم الدينية واللّغوية على يد الشيخ علي بن إبراهيم العقبي.[1]

ثالثًا: لقد كان لمحمد العيد مكتبة خاصة تحتوي على مصنفات دينية وعلميّة، كما شملت مجموعة كتب مشهورة في اللّغة والأدب وبعض دواوين الشعراء القدامى والمحدثين.[2]

رابعًا: إنَّ الطابع العام الذي سار على نهجه الشاعر في بناء ثقافته هو الطابع العربي القديم، الذي كان في الجزائر بصفة خاصة وفي الوطن العربي بصفة عامة، حيث وجدت مراكز التعليم العربي القديم ومراكز الثقافة التقليدية لتحفيظ القرآن وطرق فهمه.[3]

4.1. محمد العيد رجل التصوف و الإصلاح:

نشأ الشاعر العربيّ "محمد العيد" في بيئة ذات ثقافة دينية محافظة على قواعد الإسلام و مقاصده الشرعية، هذا ما أدّى إلى اِنخراطه باكرًا في الإتجاه الإصلاحي الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي أنشأها الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس، وواكب مسيرتها خطوة إثر خطوة.

[1] –بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، برج الكيفان، ط1،2011 ، ص132.

[2] – المرجع نفسه، ص133.

[3] – أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، ط3، 1984، ص89.

«لقد اِستطاع "العيد" أن يجمع في تكوينه الفكري ما بين مبادئ الإصلاح من أعمال فكرية وعلميّة، التي غُرست في نفسه، وبين النزعة الصوفية، التي اِكتسبها عن طريق الوراثة من أسرته وبالخصوص من والده، والسؤال الذي يراود ذهن المتلقي لأوّل مرّة هو:

كيف تمكن محمد العيد أن يجمع بين التصوّف والإصلاح في آن واحد؟»[1]

لإزالة هذا الإستغراب الواقع بين ثنائية التصوف و الإصلاح من الضروري أن نبرز المنهج الذي خطاهُ محمد العيد في تصوفه، وقبل ذلك لا بدَّ من تحديد المفهوم الصحيح لهدا العلم.

« إنَّ هذا الإسم "التصوف" مأخوذ من "الصفاء" ، و الصفاء هو: خلوص الباطن من الشهوات و الكدرات»[2]

ويقول الشيخ أحمد بن زروق رحمة الله تعالى: «**التصوف علم قصد الإصلاح القلوب ولإفرادها لله تعلى مما سواه.**»[3]

مهما تعددت الأقوال وكثرت فإن معنى التصوف يكمُن في مفهوم واحد هو إتباع أركان الدّين، وذلك عن طريق المثابرة في أداء العبادات واِجتناب المنهيات، وتطهير العبد لنفسه من كلّ الأخلاق السيئة، وتزينها بالأخلاق الحسنة.

«وإعتمادًا على تحديد معنى هذا العلم، فالتصوف عند محمد العيد ليس بطريقة ولا بالمنهج العلمي أو الإتجاه الفلسفي، ولا يقول بتلك النظريات المتطرفة القائلة بوحدة الوجود، والتجلي وغيرها... إنّه التصوف المعتدل الذي جمع فيه الشاعر بين حسن العبادة والعمل الصالح،

[1] –بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، برج الكيفان ،ط1 ،2011 ، ص136.

[2] – عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص11.

[3] – أحمد زروق، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، ليبيا،2007 ، ص26.

واِسْتَمَدَّ جوهره من مبادئ الإسلام مُتبعًا نهج الرّسول صلّى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من بعده» [1]

فلِصُوفِيتِهِ علاقة معرفية صادفت تمسكه بالكتاب والسنّة واعتماده على ما اِتبعه علماء الإسلام الأوفياء، لقد ربا هذا الشاعر في ظلال الإصلاح والتصوف، فطالما سعى إلى تمرير رسالته العلمية والفكرية إلى الأمّة العربية.

«**لقد كان محمد العيد مصلحاً صوفيًا داعيًا إلى الإصلاح، ناشرًا المفهوم الصحيح للإسلام ومُقاومًا للإنحراف. ومن أبرز ما ساعده على توطيد صلته بين الإصلاح و التصوف هو تأثره بمشايخه الذين كان معظمهم رجال إصلاح و تصوف، فنجد مثلا مشايخه من آل المكي بن عزوز بعين البيضاء اِعتمدوا الطريقة الرحمانية من جهة و كانوا دعاة إصلاح في وقت واحد**» [2]

لقد ظلّ محمد العيد طوال حياته وفيًا لهذا المنهج منوّها بذوي العلم و الفضل و الإصلاح ، حريصا على ربط صلات المحبة و التعاون معهم، لِما كانوا عليه من اِستقامة و صدق التدين و الالتزام بصلاح الأعمال.

وقد بيّن الإمام ابن باديس هذه الثنائية الواعية بين التصوف و الإصلاح البارزة في سلوك والد الشاعر وقال في هذا المعنى « **لو كان كلّ المتصّوفة في البلاد كوالدك، ورعًا وتَقى و تمسّكًا سليمًا بأصول الدّين و مفهومه الصّحيح، وإخلاصا للإصلاح لِما كان، ما كان بين رجال الإصلاح وبين أتباع الطرق المزيفة،و لكانت الجهود واحدة. ويؤكد الشيخ الطيب العقبي هذه الشهادة يقوله:**

[1] –محمد بن سمينة، محمد العيد خليفة، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1992، ص120.

[2] – بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، ط1 ،2011 ، ص 137.

رَحِمَ الإِلهُ أَباكَ إذْ رَبَّاكَ بِال عِلمِ الصَحيحِ ومُحْكَمِ القُرآنِ[1]

لقد سعى محمد العيد جاهدًا إلى نجاح عمليّة الإصلاح، من منطلق التثبت بالعقيدة الإسلامية من علم و إيمان و ما تفرع عنها من نشر للمعنى الصحيح للدين الإسلامي، و الحرص على تكوين الإنسان بالعلم النافع و العمل الصالح، و لهذا جاء القرآن الكريم حافلًا بالآيات الدالة على الإصلاح منها ما جاء في سورة هود الآية88 : ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اِسْتَطَعْتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا باللَّه**﴾

وخلاصة القول إنَّ محمد العيد خليفة جمع بين الإصلاح والتصوف فهو بذلك جمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، «**وكان الأستاذ محمد العيد من أوائل الذين نذروا أنفسهم للإصلاح، تعليمًا للناشئة وتوعية للجماهير...**»[2]، فكان لكلّ من هذين الإتجاهين أثر كبير في تكوين شخصيته وكانت الصوفية عنده نمط فردي، أما الإصلاح عنده هو موقف واضح في مجال العلم والثقافة.

5.1. آثاره العلمية:

رحل الشاعر محمد العيد عن الحياة الدنيا، رحل صوت العروبة و الإسلام، شاعر الشباب في فترة مبكرة، و أمير شعراء الجزائر، شاعر المغرب العربي و رائد الشعر الحديث في الجزائر خصوصا وفي المغرب العربي عمومًا، تاركًا وراءه ديوان شعرٍ جمعه لأوّل مرة تلميذه أحمد بُوعَدُّو ثم سُلم إلى الشيخ البشير الإبراهيمي بغية طبعه، غير أنه ظل مخطوطا إلى حين الإستقلال حتى قامت وزارة التربية الوطنية بنشره تحت إشراف الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي مع إنضمام لجنة من الأساتذة المحققين وهم: الشيخ حمزة بكوشة، الشاعر جلول البدوي، الدكتور صالح الخرفي و الأستاذ محمد الطاهر فضلاء.[3]

[1] –محمد بن سمينة، محمد العيد خليفة، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1992، ص 18.

[2] – المرجع نفسه، ص59.

[3] – ينظر. سليمة كبير محمد العيد، شاعر العروبة و الإسلام، الجزائر، ص30.

وعند إطلاعنا على صفحات هذا الديوان، نجد أنّ الشاعرَ ضمّ مجموعة من التعابير المختلفة في صور دينية، وطنية، إنسانية، شخصية و فكرية قُسمت في موضوعات مستقلة.

– المسرحية الشعرية بلال بن رباح التي نظمها في فصلين.

– قصيدة مطولة بعنوان من وحي الثورة و الإستقلال و التي جاءت في424 بيتًا.[1]

– يوجد أيضا مجموعة من أعمال الشاعر قصائد، مقطوعات، أناشيد، أبيات مفردة وخطب ومقالات نشرت في صحف الإقدام، النجاح، المنتقد وصدى الصحراء...[2]

– ملحق شعري بعنوان العيديات الجهولة، و هي تكملة لديوان الشاعر جمعها و حققها الدكتور بن سمينة محمد حيث ضمّ فيه مجموعة من الشعر المجهول.

من خلال ما تقدّم في هذا الفصل الذي عالج واقع الحياة التي عاشها محمد العيد نستخلص أن للبيئة التي نشأ فيها الشاعر، و التربية المحافظة التي تلقاها على يد أسرته و أساتذته، و الروافد العلميّة التي اِستقى منها علومه و معارفه، أثرًا فعالًا في تكوين شخصيته المحافظة، الشيء الذي ساعده على اعتناق مبدأ الإصلاح مبكرًا و إنضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين. فهو بذلك عظيم في علمه وأعماله، عظيم في تربيته وتثقيفه وعظيم في اِعتزازه ووفائه لوطنه العربي.

[1] – ينظر. محمد بن سمينة، دراسة تحليلية، لحياة محمد العيد خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992،ص136.

[2] – المرجع نفسه، ص136

الفصل الثاني

1.2. مضامين و أغراض شعره:

تركزت مضامين وأغراض شعر محمد العيد آل خليفة حول محاور أساسية يمكن القول أنّها أربعة لا يكاد الشاعر يغادرها إلّا ليعمقها وهي: الإسلام، العروبة، الوطن والإنسانية.[1]

إنّ الإسلام هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الأمّة و به تعيش، فهناك كثير من الأمم قد آلت إلى الزوال بعدما غيّرت عقيدتها، لهذا أخذ محمد العيد على عاتقه مسؤولية الدفاع عن العقيدة و مبادئ الإسلام، موجهًا نصيحته إلى الشباب للتمسك بدينهم و الحفاظ على عقيدتهم[2] وذلك لسبيل النجاة في الدنيا و الآخرة. أمّا العروبة في نظر الشاعر فأساسها هو اللّغة العربية و الإلتزام بقاموسها كونها أحد أهم المقومات التي تربط بين أبناء الأمّة العربية[3]. محمد العيد محبّ ومخلص لوطنه فقد شارك الجزائر بقلمه فتألم لألمها وفرح لفرحها.

لقد ظهرت هذه المواضيع ضمن ديوانه الشعري الذي قسّم إلى اِثني عشر محورًا تمثلت في (أدبيات و فلسفيات)، (إسلاميات و قوميات)، (أخلاقيات و حكميات)، (اِجتماعيات و سياسيات)، (اللزوميات)، (الأخوانيات)، (الثوريات)، و (المراثي)[4].

وهذا الأخير ما يهمنا في هذه الدراسة، فقد تعرض الشاعر لبعض المراثي في جزء (اِجتماعيات وسياسيات)، عبّر فيها عن حسرته وحزنه ذاكرًا جملة من الخصال النبيلة لكلّ مرثي وما قدّمه لأمته،

متأسفا للفراغ الذي تركه كل عزيز عنده ككبار الشعراء أمثال حافظ إبراهيم وأمير الشعراء أحمد

شوقي ذاكرًا فضلهما على اللّغة والأدب، كما رثى علماء قدموا أعمالا في سبيل وطنهم وأمتهم

[1] –بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، ، دار الهناء، ، برج الكيفان ،1ط، 2011، ص145.

[2] – المرجع نفسه، ص146.

[3] – المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[4] – ينظر. محمد بن سمينة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1997،1 ، ص10.

كرائد النهضة الجزائرية بن باديس حيث نقل أعماله المتمثلة في خدمة الدين والعلم والوطن، ثم تحدث عن الشيخ البشير الإبراهيمي والعالم المتميّز محمد بن شنب وجهودهما.

الشاعر محمد العيد آل خليفة شخصية مبدعة في الشعر العربي الحديث و موهبة متميّزة في القضايا و الموضوعات التي تناولها في شعره « **فلم يكن الشعر عند محمد العيد مُتعةً و تسليةً، ولا لهوًا و لعبًا، ولا طربًا، و لكنّه كان رسالة مثقلةً بالمحن، موقرةً بالمعاناة، حافلةً بالتجارب، زاخرة بعظيم المواقف، محمّلة بصادقِ الوِجدان.**» [1]

لقد اِحتلّ شعره مكانة مرموقة بغزارة إنتاجه و اِختلافه، وصدقه في فنّه و مشاعره، فكانت كتابته من منبع القناعة و الإيمان حتى اِتخذت الفكر الوطني، القومي، الديني و الإنساني، و فيه يقول الشاعر المتألق شكيب أرسلان « **كُلّما قرأت شعرًا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تمتلك على جميع مشاعري و أقول: إنْ كانَ في هذا العصرِ شاعر يصح أن يُمثلَ البهاء زَهيرًا في سَلاسةِ نظمه، و خِفة روحه، ودِقة شعوره، وجَودة سبكه و اِستحكامِ قوافيه التي يعرفها القارئُ قبل أن يصل إليها، فيكونُ محمدًا العيد الذي أقرأ له القصيدة المرتين و الثلاث و لا أملّ، و تمضي الأيام و عُذوبتها في فمي**»[2]

فقد اِرتبط قوله للشعر بإخلاصه لدينه و عقيدته و ميله للعروبة ووقوفه بجانب أمته و الدّفاع عن عرضها. أمّا البلاغة والفصاحة في قاموسه اللّغوي فقد كانت دربه منذ نشأ، «**ولا عجبَ أن يكون شعر محمد العيد سهلاً لا غموضَ فيه ولا إبهام، فتِلكَ من سماتِ الصحراءِ، فاستمدّ الشعر من صِباها، واِقتبسَ الفصاحة من أعرابها وبدوها، واِكتسب الذوقَ من حضارتِها**»[3] كما رثى صديقه السيّد رشيد بطحوش أحد أعضاء الجمعية، وعبر بعاطفة محترقة عن الفتاة المنتحرة

[1] –عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة للطباعة، الجزائر،2007 ، ص143.

[2] – محمد بن سمينة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1 ،1997 ، ص155

[3] - حسن فتح الباب، محمد العيد شاعر الجزائر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002، ص34.

حتى تكون مثلا لغيرها[1]. أمّا في النضال السياسي، فرثى كل من الزعيم الجزائري الأمير خالد معترفًا بجهوده ودفاعه عن وطنه، وكذلك غازي الأوّل ملك العراق.

2.2. رثاء العلماء في شعر محمد العيد آل خليفة:

أ- رثاء عبد الحميد بن باديس:

يعدّ العلّامة الإمام عبد الحميد بن باديس من رجال الإصلاح في الجزائر و مؤسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وهو من مواليد عام1889 م، نشأ في بيئة علمية، حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنةً و أجاد اللّغة العربية.[2]

وهَبَ بن باديس نفسه لخدمة الجزائر و إصلاح شؤونها مستفيدًا من ثقافته الدينية، ومن رحلاته المتعددة و صلته بكبار العلماء في مصر و الحجاز وغيرها، ومن بين آثاره العلمية التي جمعت بعد وفاته: (تفسير بن باديس: جمع في كتاب تحت عنوان: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).[3]

ومما روي في إحياء ذكراه ما كُتب في آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: «**وعبد الحميد بن باديس عظيم بأكمل ما تعطيه هذه الكلمة من معنى، فهو عظيم في علمه، عظيم في أعماله، عظيم في بيانه وقوة حجته، عظيم في تربيته وتثقيفه لجيل كامل، عظيم في حربه وسلمه، عظيم في اعتزازه بإخوانه، ووفائه لهم، وعِرفانه لأقدارهم...**» [4]

واصل بن باديس مسيرته العلمية وفكرته الإصلاحية، حتى «**جاءه الأجل المختوم وانتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء16 أفريل عام1940 م فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع**

[1] - ينظر. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 171-172.

[2] – بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، برج الكيفان، ط1، 2011، ص5.

[3] – ينظر. مرجع سابق، ص10.

[4] –أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج3، ط1 ،1997، ، ص588.

جنازته، فكان يومًا مشهودًا في ظروف قاسية ومحزنة لاختفاء ركن الإصلاح»[1]

وقد هَمَّ في تأبينه بعض الشيوخ والشعراء، فكان من بين هؤلاء محمد العيد آل خليفة، حيث رثى رائد النهضة الإصلاحية والثقافية بقصيدة عندما وقف لأوّل مرة على قبره، فجاءت هذه المقطوعة في اِثنا عشرَ بيتًا نُقشت على رخامة قبره تحت عنوان " **يَاقَبْرُ**" يقول فيها الشاعر:

يَا قَبْرُ طِبْتَ وطَابَ فِيكَ عَبِيرُ هَلْ أَنْتَ بِالضَّيْفِ العَزِيزِ خَبِيرُ؟
هَذَا (بن بَادِيس) الإِمَامُ المُرْتَضَى (عبدُ الحَمِيدِ) إلى حِمَاكِ
يَصِيرُ العَالِمُ الفَذُّ الذِي لِعُلومِهِ صِيتٌ بأطْرَافِ البِلَاد كَبِيرُ
بَعَثَ الجَزَائِرَ بَعد طُول سُبَاتِهَا فَالشَعْبُ فِيهَا بِالحَيَاةِ بَصِيرُ [2]

ضَمَّتْ أبياتُ المجموعة الأولى من هذه المرثية فكرة تقدير الشاعر لمكانة بن باديس، فقدّمَ اِستفهامه للمكان الذي اِحْتَضَنَ و صَانَ هذا الفقيد الجَلَلُ، ثم يمضي العيد إلى تمجيد آثار الإمام المتفرّد في مكانته، المتصّف بالعلم و المعرفة، حتى مَسَّ علمه الأمة جمعاء، و ارتقى في أرجاء المعمورة. ويستمر الشاعر في هذه الفكرة مَادحًا ذكرى ما خلفه هذا الرائد من إنجازات، وإخلاصه ووفاءه العميق في خدمة الأمّة والوطن الجزائري، وكأنّهُ يُريحُ نَفْسَ الفقيد في قبره بنجاح جُهوده التي كرسها لشعبه بخُطى ثابتة لتحصيل النجاح.

ولعلّ أنسب بيتين في هذا القول هما:

نَمْ هَادِئًا فَالشَعْبُ بَعْدَكَ رَاشِدٌ يَخْتَطُّ نَهْجَكَ في الهُدَى و يَسيرُ لَا
تَخْشَ ضَيْعَةَ مَا تَرَكْتَ لَنَا سُدًى فَالوَارِثُونَ لِمَا تَرَكْتَ كَثِيرُ[3]

[1] –عمار الطالبي، آثار بن باديس، الجزائر،ج3 ، ط3 ،1997 ، ، ص94 –95.

[2] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص474.

[3] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص474.

هكذا قدّم الشاعر الكبير محمد العيد « **إطالة عجلى على أثر بن باديس و إلحاحه في ذكرى مناقبه الجليلة، و خدماته العظيمة للأمّة الجزائرية و الوطن العربي، ليبقى ذلك الذكر خالدًا في الذاكرة الشعبية تُجدِده الأجيال روعة شعر، و بلاغة تصوير، و جمال تشبيه، فيرتسم السبيل الحق في جوانح الشباب قدوة و هداية. رحم الله هذا الرائد و كتبه في ديوان الأبرار**»[1]

ب–رثاء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

محمد البشير الإبراهيمي رائد من رواد النهضة العربية، وأحد أبرز علماء الجزائر دعوةً وجهَادًا، كان واسع المعرفة بالفقه والتشريع وعلوم اللّغة والأدب. ترأس الشيخ الإبراهيمي جمعية العلماء المسلمين بعد وفاة مؤسسها العلاّمة عبد الحميد بن باديس، و سخّر علمه و قلمه لخدمة وطنه و للدفاع عن اللّغة العربية. نشأ في عائلة مثقفة، ولد عام 1889م. [2]

«**إنّ الحديث عن الإبراهيمي هو حديث عن الجزائر صُموداً ونَهضةً وتَحرراً، فقد جسّد الجزائر في شخصيته نشأةً وتكويناً، قولاً وسلوكاً. وذُكر في آثاره مختلف الأعمال التي قدّمها بصدق وأمانة.**» [3]

في الأسبوع الثاني من عام1965 م اِشتدّ به المرض، ودخل غيبوبة احتضار التي دامت معه إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة في يوم 19 مايو من نفس السنّة، دفن بمقبرة سيدي محمد بالجزائر، وحضر جنازته جمع كبير[4] كان من بينهم صديقه محمد العيد شخصياً، وراح يرثيه في قصيدة مؤثرة بعنوان" **أبت النفس أن تراك عديماً**" وردت في ثلاثة وأربعين بيتاً، يقول في مطلعها:

[1] – ينظر. المبروك زيد الخير، الشيخ عبد الحميد في شعر محمد العيد، مجلة الوعي، الأغواط، العدد1، 2010، ص 77.

[2] – ينظر. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، برج الكيفان، ط1،2011 ، ص61.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1،ط1 ،1997 ، ص6.

[4] –أحمد حماني، جريدة الشهاب، صراع بين السنة و البدعة، الجزائر، ج1، يناير1984، ص276.

قُمْ بِحَقِّ الإِخاَءِ وارْثِ حَمِيماَ راَحِلاً مُخْلِصَ الوَلاَءِ صَميماَ صَدَّ
عَنْكَ الذِي دَناَ مِنْكَ وُدًّا وحَنَا عَاطِفاً عَلَيْكَ كَرِيمَا إِنَّ صَدَّ
"البَشيرِ" شَبَّ حَناَياَ الصَّ دْرِ ناَراً وهَدَّهاَ تَحْطِيمَا حَمَّ مَوْتُ
البَشيرِ فاكْتَأَبَ الشَّعْب وَ أَصْغىَ إِلى النَّعِيّ كَظِيمَا[1]

شرح الشاعر في الأبيات الأولى من هذه القصيدة مدى إخلاصه لصديقه الراحل، فعبّر عن شّدة الحزن والألم التي كست قلوب الشعب إثر حلول هذه الفاجعة التي أدّت إلى غياب البشير إمام العروبة و الإسلام، الذي وهب عطاءه لخدمة الدّين و الوطن و الأمّة فحلّ الطابع المأساوي والكئيب على الجزائر :

فُجِعَتْ أُمَّةُ العُروبَةِ في الهاَ دِي لِمَنْ ظَلَّ نَهْجَهاَ المسْتَقِيمَا[2]

وفي الفكرة الثانية ينتقل الشاعر بكلماته إلى التعريف بجهود الإبراهيمي التي أنجزها في مجال العلم والمعرفة، وترسيخه لأصول اللغة العربية في نفوس الناشئة يقول محمد العيد:

كَانَ للعِلْمِ في الجَزائرِ رَوْضًا مُسْتَطَابًا يُحْيِ النُّفُوسَ شَمِيمَا كَانَ
بَحْرًا مِنَ المَعَارِفِ زَخَّا رًا وذُخْرًا مِنَ الفُنُونِ جَسِيمَا رَاضَ
فُصْحَى اللُّغَى فَأُوتِيَ فِيها مَنْطِقًا سَاحِرًا وذَوْقًا سَلِيمَا[3]

يُشيد الشاعر بعبقرية الإبراهيمي في علمه ومعرفته الأدبية والفنيّة، وفصاحته التي بُنيت على الأحكام الصائبة والتفكير السليم، بالإضافة لِامتلاكه الذوق الراقي فمُهمته رست في مقام العلم والعرفان.

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 488.

[2] – المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[3] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص489.

هكذا ختم محمد العيد مرثيته بقلمِ الحزن و صدق التعبير وإخلاص التصوير، ناطقا بما يبصر ويعرف عن الشيخ الإبراهيمي في قديمه و حديثه، لم تفارق نبرة الحسرة كلماته وهو يعبّر عن هذا الفقيد ذا الموضع العليّ، والعطاء الرضيّ، والعلاّمة المحافظ على نهج الدّين والإسلام و العروبة:

فَسَلاَمًا ولا أَقُولُ وَدَاعًا أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تَرَاكَ عَدِيمًا وَأَبَى
القَلْبُ أَنْ يُفَارِقَ قَلْبًا طَافِحًا بِالرِّضَى وعَقْلًا فَهِيمًا فَلَقَدْ
كُنْتَ للعُرُوبَةِ فَيْنًا ولِدِينِ الإِسْلامِ رَمْزًا حَكِيمًا[1]

ج–رثاء العلامة محمد بن أبي شنب:

يعدّ العلاّمة محمد بن أبي شنب من بين الشخصيات التي برزت في المجال العلمي من خلال أفكاره وأعماله التي أثبتت جهوده في التاريخ الثقافي الجزائري.

ولد محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، يوم الثلاثاء الموافق ل 26 أكتوبر1869، بمنطقة "تاكبو" تبعد بكيلومترات عن مدينة المدية، وهو من عائلة تجمع بين الأصلين التركي والجزائري.[2]

كان عالمِا أديبًا أستاذًا في اللّغة العربية في كلية الجزائر، عربي المنبت واللسان، مارس التعليم طول حياته ومنحته جامعة الجزائر لقب "دكتور" في الآداب. صنف وحقق، نشر وترجم كتبا كثيرة منها: تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، وألف باللغة الفرنسية مجموع أمثال العوامِ بأرض الجزائر والمغرب في ثلاثة أجزاء.[3]

توفي ابن أبي شنب بعد حياة حافلة بالعطاء والتأليف والقراءة عام1929، إثر مرض أدخله

[1] – المصدر نفسه، ص490.

[2] – ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته و آثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص11 .

[3] –ينظر. عياد بن مهيدي، قراءة واصفة في كتاب تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب لابن أبي شنب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف،2014 ، ص66.

المستشفى ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر.[1]

كتبت عنه جريدة الشهاب في مقال تحت عنوان "لما عرفناه فقدناه": « **كان الأستاذ بن شنب يشرّف اسم الجزائر، كان من أعضاء المجمع العلمي بدمشق...**»[2]

أما الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة رثى هذا العالم الباحث في قصيدة بعنوان "**إلى صديقي الجيلالي**" سنة 1944نشرت في كتاب ألفه الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي، وردت في ثلاثين بيتًا، يقول محمد العيد في مطلعها:

صَفْحَةٌ تَحْتَوِي عُلُوًّا وفَخْرًا سَوْفَ تَبْقَى لِابْنِ الجَزَائِرِ ذُخْرًا
صَفْحَةٌ من حَيَاةِ أَعْظَمِ شَيْخٍ كَانَ في مَطْلَعِ الجَزَائِرِ بَدْرًا
كَانَ سَمْحًا مُلَاطِفًا كَانَ ثَبْتًا كَانَ شَهْمًا مُحَافِظًا كَانَ حُرًّا [3]

بين الشاعر في هذه الأبيات صورة من جهود هذا العالم الذي تزخر به الجزائر، من خلال أخلاقه وثقافته وعلومه وأبحاثه، التي بقيت محفوظة حتى تكون فائدة وانتفاعًا لغيره.

بعد ذلك تطرق الشاعر في قصيدته إلى الصفات الخُلقية التي تميز بها بن شنب:

فَأَجِدَ فِي ذِكرَاهُ مَا شِئْتُ وَصْفًا إنَّ ذِكرَى (محمدُ) خَيرُ ذِكْرَى إنَّ
ذِكرَى (محمد) نَارُ مُوسى سَوْفَ يَأتِي من بَعْدِهَا الخَيْرُ يَتْرَى [4]

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص14.
[2] – جريدة الشهاب، مجلد5، جزء الثاني، شوال1347، مارس1929، ص39.
[3] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2010، ص451
[4] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص451 -452.

ولعلّ ذكر نار موسى هنا يوحي بقصة موسى عليه السلام، فهو النبي الذي صبر على الأذى والصعوبات التي لازمته وناره هي أداة الإرشاد والهداية التي تلقاها منه قومه[1]، فالشاعر شبه هذا العلامة المذكور بصفات النبي موسى عليه السلام.

هكذا ختم الشاعر قصيدته في العالم النابغة محمد بن شنب ، داعيا الشباب الجزائري الحديث للاعتراف بتجاربه و جهوده و أن يقتدوا من آثار علمه و إسهاماته:

يَا رِجَالَ الغدِ اجعَلُوهُ إمَامًا فَهُوَ فِي العِلمِ بالإِمَامَةِ أحْرَى

كَانَ فِيكُمْ مُؤَلِّفًا كَانَ فيكُمْ مُغْرَمًا باللُّغَى وبالكُتْبِ مُغْرَى

وَقَضَى تَارِكًا بَنِينَ كِرَامًا وشَبَابًا فِي العِلْمِ يَقْفُوهُ إِثْرَا[2]

3.2-رثاء الأدباء في شعر محمد العيد آل خليفة:

أ-رثاء أحمد شوقي:

أحمد شوقي كاتب وشاعر مصري مشهور، لُقبَّ بأمير الشعراء في العصر الحديث، كان من مواليد سنة1868، أتقن الشعر واللّغة العربية السليمة كما أتقن التعبير في تصوير ما يُخَالِجُ النفس البشرية في حالات: الفرح و الحزن، التشاؤم و التفاؤل، في هذا القصد يقول المازني: «**إن شوقي كان من أنضجِ شعراء طبقته، وكان أدقهم تعبيرًا و أبلغهَم، وكان عنوانًا و رمزًا لمصرَ و المشرق العربي كلّه و أكبر ظني أن اِسمه سيظل مذكورًا في تاريخ عصرهِ و مهما بلغَ اختلاف الناس في أمرهِ**»[3]

[1] -ينظر. إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الإستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 169 .

[2] - محمد العيد آل خليفة، الديوان، مصدر سابق، ص452 -453.

[3] -هاني الخيّر، أحمد شوقي شاعر الأمراء وأمير الشعراء، دار فليتسر للنشر، الجزائر، ص10

ظلّ شوقي محل تقدير الناس وموضع إعجابهم ولسان أحوالهم حتى فاجأه الموت عام 1932م، مخلفًا وراءه ديوانًا ضَخمًا عرفَ بديوان الشوقيات ورد في أربعة أجزاء.[1]

لقد خيَّم الحزن على البلاد العربية عند سماع نبأ موته، حتى تهافت الشعراء من كل درب يرثون أمير الشعراء بحزن شديد، فبموته اِنهار سند العروبة و الإسلام و الشرق، في هذا السياق كتبت فيه مجلة الشهاب تقول: «**مات شاعر الإسلام الذي كان يعتزُ بمفاخره، و يشدُو بمآثره، وينطق بلسانه، ماتَ شاعرُ الشرق الذي كان يهتز قلبه لهزاته، و تضطرب حياته لاضطراباته...**» [2]

أمّا جريدة وادي ميزاب قالت:«... **إذا ما بَكَيْنَا شوقي، فإننا نبكي شاعرية من معجزات هذا العصر، نبكي شعرًا فيَاضًا، نبكي عاطفةً إسلامية، نبكي غيرةً وطنية، نبكي روحًا أنعشت لغةَ الضادِ، فبعث فيها حياة جديدة...**»[3]

كان الشاعر الكبير محمد العيد من أوائل الشعراء الجزائريين الذين رثو شوقي بأسلوب رصين هادئ، و تعابير و صور قديمة و جديدة معًا، و بحكم منثورة بين وقت و آخر في قصيدة مؤثرة تحت عنوان " **إلى روح شوقي**"، ضمّت ستة و أربعين بيتا، جاء مطلعها وفق هذا السؤال الذي تعجّب فيه الشاعر من هول الحادثة قائلا:

عَجَبًا للدَارِ كَيْفَ تَدُورُ؟ نَكَبَ الشِعرُ بِهَا والشُعُورُ

ذَهَبَ الشِّعرُ بِهَا حَسَراتُ وَعْرته وَحْشَةٌ ونُفُورُ [4]

[1] – أحمد شوقي، الديوان، دار العودة، بيروت، 1988، مقدمة الجزء الأوّل، ص1.

[2] – محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925-1975، دار المتصدر، الجزائر، ط3،2013، ص56.

[3] – محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3، 2013، ص56.

[4] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص457.

الشاعر مدرك ومقدّر لمنزلة أحمد شوقي الشعرية المحافظة، المتميّزة بحكمة الأسلوب وجودة التراكيب لذلك اِندهش وفزع من حادثة فقدانه التي نزلت عليه وعلى الشعر بحزن عميق.

ثم انتقل الشاعر في الفكرة الثانية إلى وصف حالة الفراغ التي عمّت الساحة الأدبية على أثر غياب أبا الشعر عنها:

فَقَدَ الشِّعْرُ مِنَ الشَرْقِ شَمْسًا لم يَزَلْ مِنْهَا على الشَّرْقِ نُورُ

فَقَدَ الشِعر من الشَرْقِ سَرْحًا طَالَمَا غَنَّتْ عليه الطُّيُورُ

فَقَدَ الشِعر أَبَا الشِعر (شوقي) فَطَغَا الوَيْلُ بِهِ وَ الثُّبُورُ[1]

يبكي العيد حظَّ الشعر الذي فقد أُبوّة شوقي بموهبته الشعرية ويبكي أيضا ألم الشرق لخلوّ ميدانه الأدبي من أحد رموز الشعر الأصيل، فنال منه الحزن والكآبة وقدّم عزاءه الكبير للشعر في هذا الأمير مشيرا إلى أنّه و إن حالت ظروفه دون المشاركة في هذا المأتم، فإنّ الحزن قد عمّ ديار الجزائريين و صور فكرته في أبيات مؤثرة:

يَا أَمِيرَ الشِعر عَفْوًا فَإِنَّا قَعَدَ العِيُّ بِنَا والقُصُورُ

إِنَّ خَلْفَ البَحْرِ دُور اِئْتِنَاس دَبَّ فِيها الحُزنُ فَهِيَ دَيُورُ

رَدَّدَتْ وَقْع الأَنِين الزَّوَايَا وتَحَلَّتْ بِالسَّوَادِ السُتُورُ

فَلِأَهْلِيهَا خُشُوعٌ طَوِيلُ ونُفُوسٌ غِيَّبُ وحُضُورُ [2]

لقد نزل الضعف و العجز في النفوس لما حل بأمير الشعر، و أضحت كالدّار الخالية التي عمتّها ظلمة الغم و الكآبة، و يستمر الشاعر في هذه النغمة الحزينة المغمورة بالأسى و الحسرة لرحيل شوقي إلى الأبد، داعيًا القلب و العقل بالثبات، فسُنّة الحياة بُنيت على الحزن و الفرح:

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص457.

[2] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص458.

يَا فُؤَادِي لَا تَرُعْكَ العَوَادِي خُلُقُ الدُنْيَا أسًى وسُرُورُ [1]

هكذا ختم محمد العيد قصيدته بتقديم العزاء للشرق الحزين، مواسيه بالصّبر الحسن إثر حلول هذه الفاجعة في أرضه، موضحًا أنَّ الموت مقدّر ومكتوب من عند الله سبحانه وتعالى وهو بذلك خاتمة كلّ نفس في هذه الدنيا:

نَضْرَةُ مِن جَنّةِ الشَرقِ وَلَّتْ وتَلَتْهَا ذَبْلَة وضُمُورُ
أَيُّهَا الشَرْقُ اعْتَصِمْ بِالتَّعزّي فَالتَعزّي عِصْمَة وبُرُورُ
كُتِبَ المَوْتُ عَلَى كلِّ نَفْسٍ وَإلى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ [2]

ب- رثاء الشاذلي خزندار:

الشاذلي خزندار شاعر تونسي نشأ في بلاط مدينة تونس، من مواليد سنة1881م «**كان هذا الشاعر من أبرز من عُرفوا بحبّ تونس وتعلّموا الوطنية على يد زعماء مخلصين أمثال عبد العزيز الثعالبي، لقد آمن ايمانا عميقًا بِقول الشعر وعَدّهُ خطّة ووظيفة كبقية الخطط والوظائف الموجودة في المجتمع، على صاحبها أن يصّرفها بما تدعو الظروف وتقتضيه المناسبات، وأن يضعها في خدمة الوطن سِلاحاً يُعتمد عليه**»[3]

كثيرًا ما اِرتبط شعره بخدمة الوطن مرتكزاً في هذه الخدمة على جوانب الحقّ والهدى والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، واشتدّ تعلقه ببلاغة القدامى من الشعراء بمحافظته على عمود الشعر والسّعي إلى تحسين هذا العمود بأغراض جديدة دون أن يخلّ بقالبه القديم[4]. وكانت بينه وبين محمد العيد صداقة وطيدة خصوصاً الوقت الذي قضاه العيد بتونس في جامعها الأعظم بالذات لإثراء رصيده المعرفي.

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص458.
[2] – المصدر نفسه، صفحة نفسها.
[3] –ينظر. عبد العزيز سعود، معجم البابطين (الشعراء العرب المعاصرين)،2008 ، ص 17-18 .
[4] – المرجع نفسه، ص23.

رحل الشاعر التونسي إلى رحمة ربّه عام 1954م فحزن محمد العيد عند سماعه لهذا الخبر، حيث نظم أبياتا يترجم فيها، حرقته فوردت هذه الأبيات في حفلة التأبين التي أقامها النادي الأدبي للجمعية الرشيدية بتونس العاصمة[1]، أُلقيت القصيدة نيابة عن الشاعر جاءت في ثمانية و أربعين بيتا يقول فيها:

سَاءَنَا رِزْءٌ بِهِ الدَّهْرُ رَمَنَا فَأَمَانًا أَيُّهَا الدَّهْرُ أَمَانَا لَمْ

يَزَلْ يُمْعِنُ فِي مِحْنَتِنَا وَيُعَادِينَا مُلِحًّا فِي أَذَانَا ومتىَ

اغْتَلْتَ فُلاَنًا لَمْ تَكَدْ تَنْتَهِي إلاَّ لِتَغْتَالَ فُلاَنَا[2]

الشاعر متعب من المصائب الشديدة التي تعرّض لهافي حياته، ويلقي بهذه الأثقال على عاتق الزّمن راجيًا منه أن يمنحه ساعة السكينة والثبات، فوجع الموت لا يزال مستمرا في أخذ كلّ عزيز عليه فتأوَّهَ شاكياً ألمه وحزنه على خزندار بن تونس الخضراء قائلا:

آهِ مِمَّا حَلَّ بِالخَضْرَاءِ مِنْ فَاجِعٍ كلُّ عَزِيزٍ فِيه هَانَا

فَقَدَتْ تُونِسُ مِنْ آفَاقِهَا كَوْكَبًا قُطْبًا و بَدْرًا إِضْحِيَانا[3]

ويستمر محمد العيد في وصف الشاعر التونسي بشجاعته ومكانته الأدبية، إذ صوّره بفساحة البحر في علمه وبراعته في قافية الشعر الصعبة وحرصه على حسن التلفظ بالكلام الدُّرَرُ:

كَانَ بَحْرًا بِالقَوَافِي زَاخِرًا طَافِحًا يَلْفظُ دُرًا وَجُمَانَا كَانَ

فِي الشِّعرِ أَمِيرًا مَالِكًا لِقَوَافيهِ لَهُ الصَّعْبُ اسْتِلاَنَا[4]

[1] – ينظر. محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص479.

[2] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص479.

[3] –المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه، ص480.

ثم يوجّه الشاعر عزاءه إلى تونس في هذا الأب الكبير الذي عاش لفترة تحت رعايته واقتبس من علمه، فعبّر عن حزنه بقوله:

يَا بَنِي الخَضْرَاء هَذَا جُهدُنَا فِي مُصَابٍ كُلُّنَا مِنْهُ حَزَانَى[1]

و يختم قصيدته بتذكير الأمة أنّ كل ما هو موجود على وجه الأرض عابر، و أنّ المنيَّة هي نهاية كل مخلوق على وجه الأرض، فالبقاء لعظيم الشأن الله سبحانه و تعالى:

إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌ آجل فإذَا حَانَتْ مَنَايَا النَّاسِ حَانَا

والبَرَايَا للمَنَايَا عِرضَةٌ كُلُّهَا تُصْبحُ أخْبَارًا لِكَانَا

كُلُّهَا تَفْنَى ولا يَبْقَى سِوَى مَنْ تَعَالَى عَنْ جَمِيع الخَلْقِ شَانَا[2]

4.2-الدراسة الأدبيّة للقصائد الشعرية:

أ-الأفكار:

من القراءة الأولى لهذه النصوص يظهر لنا أنّ محمد العيد يبكي ويندب فقيدًا عزيزًا عليه ذو مكانة وقيمة كبيرة، هذا ما أدّى إلى حزنه الشديد الذي عبّر عنه بنظم قصيدة يؤبن ويرثي فيها كلّ راحل، فالشاعر مجروح الفؤاد، الغرض العام إذن هو الرثاء، ومحمد العيد اِشتهر بهذا الغرض ضمن ديوانه الشعري وذلك لعرض أفكاره وآرائه حتى تكون عبرة للقارئ في أمور الحياة والموت.

لقد تناولت هذه القصائد مجموعة من الأفكار الأساسية تدور حول الدنيا و توقعاتها الزائلة، و أنّ الموت قدر لا ينجو منه أحد، هذا ما أوضحه الشاعر في ندب الشخص الراحل، بإظهار لوعته عليه

[1] – محمد العيد آل خليفة، الد يوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص481.

[2] – المصدر نفسه، صفحة نفسها.

و تعداد مناقبه بذكر شجاعته و نجدته و كرمه مع غيره، و أعماله التي خلفها وراءه باعتبارها حقائق ملموسة يقرّ بها كافة النّاس من بعده كما تميزت بعض الأفكار الأخرى بالعمق الشديد، لأنّها نتيجة لمفاهيم موروثة: كالعلم، المعرفة، الشعر و اللّغة الأصيلة بالإضافة لقضايا الحزن، الوفاة، الفناء و الخلود.

وردت أفكار النصوص بسيطة سهلة لا غموض فيها ولا إشكال تفهم بقليل من التريّث بعد شرح بعض الألفاظ التي تبدو وكأنّها غريبة لقلّة اِستعمالها.

ب–العاطفة:

لا شك أنّنا نلاحظ أنّ عاطفة الشاعر هي عاطفة حزن وأسى عميق ذو نبرة قوّية ومؤثرة، فهي نابّجة عن الإيمان الصادق والحب المتين والإخلاص لذكرى الفقيد.

نلمس في النصوص عاطفة حزن، خاضعة لمنطق الشاعر و نظرته في الحياة و الموت، فهو شديد التصديق بأن الحياة الدنيا ليست ذات الشأن التي تجعل الإنسان يتأسف لفقدها، و إنّ هذا الموقف يمليه عليه إيمانه القوّي و مذهبه في الحياة، فإن أبياته تؤثر فينا أبلغ التأثير، لأن هذه العاطفة بالإضافة إلى قوتها و صدقها يشترك فيها النّاس جميعًا، لأنهم معرّضون لمثل ظروف محمد العيد في أي وقت بفقد شخص محبوب.

ج–الأسلوب:

سيطرت على الشاعر كلمة الألم و الحسرة، و قد جاءت الألفاظ و العبارات ملائمة لتلك العاطفة مثل: الويل، التعزّي، القبر، حمَّ، موت، اكتأب، الحزن، العِيُّ، دَيُورُ، ضُمُورُ، قضى، سَاءَنَا، الرِزءُ، تَغْتَال، مَنَايَا، تَفْنَى... ودّلت على مصيبته بفقد رجل ليس ككلّ الرجال حين وصفه بالشجاعة، و القدرة على تحمل الشدائد، و العالِمُ الواسع في معرفته، و صاحب الأبوّة الشعريّة، و متقن الفصاحة اللّسانية، ثم يؤكد دوام حزنه بذكر اسم المرثي تفضيلًا له كقوله في رثائه لشوقي: أبَا

الشِعرُ (شوقي)، مأتم(شوقي)، و ذكرهَ(لمحمد بن شنب)، (ابن باديس)، (البشير)، (الشاذلي المرتضى).

الفصل الثالث

يعدّ محمد العيد أحد شعراء المدرسة الإحيائية العربية التي قامت على إحياء التراث و الإستفادة منه و تقوية الصلّة بالأسلوب العربي القديم في بناء القصيدة، فتقيّد بالبحور الشعرية والتزم القافية الواحدة[1]، و ترسم خطى القدماء فيما نظموه من الأغراض الشعرية كالمدح، الرثاء، الغزل و الوصف.

يقول محمد ناصر في هذا الصدد: «**إنه من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار أدب مدرسة الاحياء في الجزائر اتجاه الحركة الإصلاحية و موقفها السلفي الواضح من قضايا الفكر و الثقافة، حيث كان شوقي و الرصافي من زعمائها.**»[2]

لقد كتب محمد البشير الإبراهيمي يومًا عن محمد العيد فقال: «**شاعر مستكمل الأدوات، خصيب الذهن، رَحِب الخيال، متّسع جوانب الفكر، طائر اللّمحة، مشرق الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي، ، لبق في تصريف الألفاظ في مواضعها.**»[3]

1.3-الموسيقى الخارجية:

أ-البحور المستخدمة وأوزانها:

يعدّ علم العروض صناعة يعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها وما يعتريها من زحافات وعلل، ذلك محافظة على الشّعر العربي من الكسر ومن دخول مالا يجوز فيه من التغيرات. لقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي خمسة عشر بحرا لأوّل مرّة في تاريخ الشعر العربي، ثم جاء تلميذه الأخفش فتدارك الأمر وأضاف إليها بحرًا آخرًا، سمي المتدارك وبذلك أصبح مجموع البحور ستة عشر بحرًا[4]، باعتبار أنّ البحر هو ذلك الرابط الأساسي الذي ينظم الشاعر على قاعدته قصيدته

[1] -ينظر. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، برج الكيفان، دار الهناء، 2011 ، ط1 ، ص151.

[2] -محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3 ،2013، ص52.

[3] - عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة، الجزائر2007، ،ص142 .

[4] -ينظر. محمد بن فلاح المطيري، القواعد العروضية و أحكام القافية العربية، الكويت، ط1، 2004، ص19.

كما سبقنا الحديث عن محافظة محمد العيد على الموسيقى القديمة في قصائد شعره، فقد استقرت دورته العروضية حول بحور وأوزان الخليل المعروفة، وعلى قافية معينة تستقيم عليها أبيات القصيدة على العموم، يقول الدكتور عبد الملك مرتاض: «**إنّ العيد ظل يقرض القصيدة على أصولها العمودية المعروفة في الشعر العربي التقليدي**»[1]. برزت البحور الشعرية القديمة في قصائده على النهج الآتي:

1-بحر الكامل:

سمي كاملًا لتكامل حركاته و هي ثلاثون حركة، ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، و قيل لأنه كَمُلَ عن الوافر الذي هو الأصل في الدائرة و ذلك باستعماله تامًا، و قيل لأنّ أضربه أكثر من أضرب سائر البحور فالبحر الكامل له ثلاث أعاريض و تسعة أضرب.[2]

وقد استخدم محمد العيد هذا البحر في عديد من قصائده التي تنوعت بين طول أبياتها وقصرها، وحسب التجربة التي عاشها ويشرحها في أبياته، فنجد هذه التجربة ضمن البحر الكامل في قصيدة الرثاء التي أقامها للعالم الكبير بن باديس" **يا قبر**":

يَا قَبْرُ طِبْتَ وطَابَ فِيكَ عَبِيرُ — **هَلْ أَنْتَ بِالضَّيْفِ العَزِيزِ خَبِيرُ** [3]

يَا قَبْرُ طِبْتَ وَطَابَ فِيكَ عَبِيرُو — هَلْ أَنْتَ بِضَيْفِ لْعَزِيزِ خَبِيرُ

0/0///0//0///0//0/ — **0/0///0//0/0/0//0/0/**

مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ — مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

---

[1] – عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992، ص34.

[2] –الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، باب الطويل، القاهرة، ط3 ،1994 ، ص58.

[3] محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر،2010، ص474.

↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓

*زحاف صحيحة *مقطوع ز.الإضمار ز.الإضمار مقطوع الإضمار

لقد أدخل الشاعر زحاف الإضمار في تفعيلة هذا البيت من بحر الكامل التام، حيث جاء السكون فوق الحرف الثاني المتحرك فأصبحت التفعيلة مُتْفَاعِلُنْ، قد يعود هذا إلى: « **ما يمتاز به هذا البحر من إيقاع موسيقي هادئ رصين، وما تُعرف به تفعيلاته من جزالة و حسن إطراد (متفاعلن ست مرات) تجعله يتناسب مع الموضوعات التي تحتاج إلى نفس طويل**»[3]

وعليه فإن هذه التفعيلة توافقت مع الحالة النفسية والنغمة الحزينة التي عاشها الشاعر عند حلول هذه الحادثة.

2- بحر الخفيف:

سمّي بحر الخفيف بهذا الإسم لخفّته و هذه الخفّة متأتّية من كثرة أسبابه الخفيفة، و قيل سمي خفيفًا لخفته في الذوق و التقطيع و هو على ستة أجزاء أصله فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ مرتين، له ثلاثُ أَعاريض و خمسة أضربٍ.[4]

لقد أقبل كثير من الشعراء الجزائريين على استعمال هذا البحر في كثير من قصائدهم «**لِتَمَيُزِ موسيقاه بوقعها النازل الذي يتناسب مع الموضوعات الذاتية، وتَوَافُقِ إيقاعه مع المشاعر ذات الوقع الحزين، ومواطن التذكر والترجيع، والشجن.**»[5]

* الإضمار: هو تسكين ثاني المتحرك.

* -علّة القطع: حذف ساكن الوتر المجموع آخر التفعيلة وتسكين ما قبله.

[3] – محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3، 2013، ص249.

[4] – إميل بديع يعقوب، علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص76-77.

[5] – محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3، 2013، ص254.

يعدّ الشاعر الجزائري محمد العيد من الشعراء الذين ضمّوا وزن هذا الخفيف في مجموعة قصائده الشعرية، حيث استعمل هذا النّوع من بحر الخفيف عندما رثى البشير الإبراهيمي في قصيدة" **أبت النفس أن تراك عديمًا**" يقول:

قُمْ بِحَقِّ الإِخَاءِ وَارْثِ حَمِيمَا **رَاحِلاً مُخْلِصَ الوَلَاءِ صَمِيمَا**[1] قُمْ

بِحَقْقِ لْإِخَاءِ وَرْثِ حَمِيمَا رَاحِلَنْ مُخْلِصَ لْوَلَاءِ صَمِيمَا

0/0///0//0//0/0//0/ **0/0///0//0//0/0//0/**

فاعِلَاتنْ مُتَفْعِلُنْ فَعِلَاتُنْ **فَاعِلَاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعِلَاتُنْ**

صحيحة *ز.الخبن ز.الخبن صحيحة ز.الخبن ز.الخبن

الشاعر حاول أن يعبّر عن عاطفته الحزينة فاستخدم وزن الخفيف مع تفعيلته المتغيرة، المتمثلة في زحاف الخبن الذي اِستحوذ على أبيات القصيدة فَحُذِفَ الحرف الثاني من تفعيلة البحر، فتغيّرت من أصلها (فَاعِلَاتُنْ) إلى فعِلَاتُنْ وذلك لتماشي بحر الخفيف مع الطبع النفسي للشاعر، ورشاقته وخفته في ترتيب الإيقاع وفق التجربة المذكورة من طرف الشاعر.

برز هذا البحر أيضا مع تغيراته الواجبة التي لازمت لمسة الحزن، التي وردت في رثاء محمد العيد للدكتور محمد بن أبي شنب في قصيدة "**إلى صديقي الجيلالي**":

صَفْحَةٌ تَحْتَوِي عُلُوًّا وفَخْرًا **سَوْفَ تَبْقَى لابنِ الجَزَائِرِ ذُخْرًا** [2] صَفْحَتُنْ

تَحْتَوِي عُلُوْنْ وفَخْرَنْ سَوْفَ تَبْقَى لابْنِ لْجَزَائِرِ ذُخْرَنْ

0/0//0/0//0/0//0/ **0/0///0//0/0/0/0//0/**

1-محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2010، ص488

[2] – المصدر نفسه ، ص451

* زحاف الخبن: حذف ثاني الساكن من التفعيلة

فَاعِلَاتُنْ	مُتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ
صحيحة	ز.الخبن	صحيحة

فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلَاتُنْ
صحيحة	صحيحة	ز.الخبن

3-بحر المديد:

سمّي مديدًا لأنّ الأسباب اِمتدت في أجزائه السباعية فصار أحدهما في أول الجزء و الآخر في آخره، فلما اِمتدت الأسبابُ في أجزائه سمي مديدًا، وهو على ستة أجزاء فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ مرتين، له ثلاثُ أَعاريض وستة أضرب.[1]

لم يستعمل محمد العيد هذا البحر كثيرًا في قصائده لقلّة استعماله من قبل الشعراء القدامى فكانت نسبة النظم على وزنه ضئيلة جدًا، لأن بعض أعاريضه و أضربه فيها شيئًا من الثقل[2] لذا تجنب الشعراء استعماله و هو من نفس دائرة الطويل وهي دائرة المختلف.

من أمثلة هذا البحر في قصائد محمد العيد، قصيدة" **إلى روح شوقي**"، يقول فيها:

عَجَبًا للدَّارِ كَيْفَ تَدُورُ	**نَكَبَ الشّعْرُ بِهَا والشُّعُورُ** [3]
عَجَبَنْ لِدْدَارِ كَيْفَ تَدُورُو	نَكَبَ شْشِعْرُ بِهَا وشْشُعُورُو
0/0///0//0/0/0///	**0/0//0/0///0/0///**
فَعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعِلَاتُنْ	فَعِلَاتُنْ فَعِلنْ فَاعِلَاتُنْ
ز.الخبن صحيحة ز.الخبن	ز.الخبن ز.الخبن صحيحة

[1] –الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، القاهرة، باب المديد، ط 3 ،1994، ص31

[2] – ينظر. شعبان البلطيني، هدية لراغبي علم العروض، موقع إلكتروني، ملتقى أهل الحديث،15 -03-2012

[3] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر، 2010، ص457.

ورد المديد في هذه القصيدة مجزوءً لندرة استعماله في الشعر قديمًا و حديثًا، و جاءت عروضه مخبونة بحذف ثاني الساكن من تفعيلة البيت.

4- بحر الرمل:

سمّي رملًا لأنّ الرّمل نوع من الغناء يخرج من هذا الوزن فيسمى بذلك، وقيل سمّي رملًا لدخول الأوتاد بين الأسباب، وانتظامه كرَمْلِ الحصير الذي نُسجَ، والرَّمَل في اللغة الهرولة، أصله فَاعِلَاتُنْ ست مرات، له عروضان وستة أضرب.[1]

جاءت نسبة استعماله في القصائد متوسطة، ففي ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر بجزأيه لا نجد من بحر الرمل سوى ست قصائد من مجموع أربع وتسعين قصيدة، فقد قلّت نسبة استخدامه عند بعضهم كما هو الشأن في شعر محمد العيد[2] الذي لم ينظم على وزنه إلا في قليل من قصائده، نذكر من بينها قصيدة في الرثاء " **تأبين الشاذلي خزندار**" يقول فيها:

سَاءَنَا رِزْءٌ بِهِ الدَّهْرُ رَمَانَا — **فَأَمَانًا أَيُّهَا الدَّهْرُ أَمَانَا**[3]

سَاءَنَا رِزْءُنْ بِهِ دْدَهْرُ رَمَانَا — فَأَمَانَنْ أَيْيُهَدْدَهْرُ أَمَانَا

0/0///0/0//0/0/0/// — 0/0///0/0//0/0/0//0/

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعِلَاتُنْ — فَعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعِلَاتُنْ

صحيحة صحيحة ز.الخبن — ز. الخبن صحيحة ز.الخبن

[1] –الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، القاهرة، باب الرمل، 3ط، 1994، ، ص83.

[2] –محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3، 2013، ص257.

[3] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2010، ص 479.

ورد هذا البيت في تأبين محمد العيد لشاعر الخضراء، وجاء استعماله في دائرة التام من بحر الرمل مع جواز تغيرات زحاف الخبن التي دخلت على تفعيلة فاعلاتن، فَقُلِبَتْ إلى فَعِلَاتُنْ بحذف ثاني الساكن من التفعيلة، فمن خصائص هذا البحر سرعة النطق به[1]، وهذه السرعة متأتية بسبب تتابع التفعيلة فَاعِلَاتُنْ فيه.

ب–القافية:

1– التعريف اللّغوي: من قَفَوْتُ فُلَانًا إذا تبعته، وسمّيت قافيةً لأنّها تقفو آخر كلّ بيت، وكلُّ قافيةٍ تتبع أُخْتَهَا التي قبلها، فهي قوافٍ يقفو بَعْضُهَا بعضًا.[2]

2– التعريف الإصطلاحي: يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي :« **هي من آخر ساكن في البيت إلى الساكن الذي قبله مع المتحرك الذي يليه**»[3] وجاء ابن رشيق القيرواني بقوله: «**القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمّى الشعر شعرًا حتى يكون له وزن و قافية..**»[4]

تتكوّن القافية من ستّة حروف هي الرّوي، الوصل، الخروج، الرِّدْف، التّأسيس، الدَّخيل، إن دخلت أوّل القصيدة لزمت سائر أبياتها، والحرف الأساسي الذي ترتكز عليه من بين حروفها هو الرويّ كونه آخر حرف صحيح في البيت وعليه تُبنى القصيدة وإليه تُنسبُ.[5]

و الملاحظ في شعر محمد العيد آل خليفة التزامه الكثير بالقافية التقليدية ذات الرويّ الموحّد الموروثة من نظم الشعر العربي القديم، فلم يخرج الشاعر عن هذا المنهج إلا في قليل من قصائده

[1] – محمد بن حسن، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص84.

[2] –محمد بن فلاح المطيري، القواعد العروضية و أحكام القافية العربية، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2004، ص103 .

[3] – المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[4] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، دار الجيل، بيروت، ط5 ،1981، ص151.

[5] – محمد بن فلاح المطيري، القواعد العروضية و أحكام القافية العربية، مرجع سابق، ص104 .

الشعرية و ذلك رغبة منه في إحداث التغيير الفنّي دون أن يخلّ بالنظم في المجالين المطلق و المقيد[1]، و قد اجتهد في اختيار القافية و حروف الرويّ التي تناسب أحاسيسه هذا ما نجده في:

3-القافية المطلقة: هي ما كانت متحرّكة الروي، أي بعد رويها وصل بإشباع ضماً أو فتحاً أو كسراً[2]. يمكن تقسيم القافية من حيث عدد الحركات بين الساكنين في آخر البيت إلى خمسة أقسام:

•القافية المترادِفة: هي التي لا يكون بين ساكنيها حرف متحرّك.

•القافية المتواتِرة: يكون بين ساكنيها حرف متحرّك واحد.

•القافية المتدارِكة: يكون بين ساكنيها حرفان متحرّكان.

• القافية المتراكِبة: يكون بين ساكنيها ثلاثة أحرف متحرّكة.

• القافية المتكاوِسة: يكون بين ساكنيها أربعة أحرف متحرّكة.[3]

ومن أمثلة القافية ذات الرويّ الواحد المطلق في مراثي محمد العيد قصيدة"**تأبين الشاذلي خزندار**":

ساءنَا رِزءٌ به الدَهْرَ رمَنَا فأَمانًا أيّهَا الدهرُ أمَانَا [4]

اتّصلت قافية الأبيات بألف المدّ في سائر كلمات القصيدة (أمانا، أذانا، إضحيانا) وهذه الكلمات إن اختلفت في المعنى إلا أنّها ذات دلالة واحدة نُسبت إلى الشجاعة الأدبية التي تحلّى بها هذا الشاعر التونسي.

[1] -أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 225.

[2] -عبد العزيز عتيق، علم العروض و القافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص165 .

[3] – محمّد الهاشمي، العروض الواضح و علم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 1991، ص144.

[4] -محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر،2010 ، ص 479 .

أمّا من حيث تحديد عدد الحركات في قافية الأبيات نجدها ضمن القافية المتواترة وفق التقطيع العروضي [مانا=/0/0] ورد بين ساكني القافية متحرّك واحد، فتوافق ترتيبها مع عبارات الحزن و الحسرة التي لمست فؤاد الشاعر.

ونجد كذلك قول الشاعر في رثائه للبشير الابراهيمي:

قُمْ بحقِّ الإخاء وارثِ حَميمَا راحِلاً مُخلصَ الولاءِ صَميمَا صدَّ

عنكَ الذي دنَا منكَ وُدّاً وحنَا عَاطفًا عليك كَريمَا[1]

وردت قافية الأبيات مطلقة باعتبار حركة الروي، فاتّصلت ألف الرّدف * بحرف الميم للدلالة على ثقل المصيبة التي لمست فؤاد الشاعر و ما تبعها من حزن و ألم الوداع. أمّا من حيث عدد الحركات بين الساكنين في آخر البيتين نجدهما في ضرب القافية المتواترة، فالقافية هنا قوله [مِيمَا=/0/0] بين ساكنيها متحرّك واحد.

لقد استعمل محمد العيد زيادة على القافية مجموعة من الحروف التي وردت روّيا، حيث تناسب موقعها مع دلالة القافية و نغمتها الحزينة، فإنّ براعة الشاعر و تمكّنه من صناعته جعلته يتغلب على قيود القافية و عثراتها فحافظ على إبراز معاني قصائده رغم طول أبياتها[3]،و من بين الحروف التي اعتمد عليها في مراثيه نجد :

إسم الحرف	عنوان القصيدة
الراء	"ياقبر"، " إلى روح شوقي"، "محمد بن شنب"
الميم	"أبت النفس أن تراك عديمَا"

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2010، ص488.

* ألف الرِّدف: هو حرف مدّ يأتي قبل الروي، ويكون ألف أو واو أو ياء.

[3] – أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص225.

النون	" تأبين الشاذلي خزندار"

من خلال ما تقدّم ذكره نلاحظ أنّ محمد العيد قسّم بحوره وفق الدائرة الخليلية، وحدّد قافية قصائده ورويّها وفق ما ورد في شعر القدامى كحرف الرّاء والنون والميم...، فالشاعر مدرك لقيمة الشعر العربي القديم ويسعى للمحافظة على قواعده الأصليّة.

2.3-الموسيقى الداخلية:

لقد أثارت النماذج العربية القديمة اهتمام الشعراء المحافظين، هذا ما جعلهم يسيرون على طريق القدامى و نهجهم في استخدام الأساليب البيانية المشهورة في علم البديع حتى تناثرت هذه الأساليب ضمن عدد كبير من أبيات القصائد التي جاءوا بها من مجاز،تشبيه، استعارة، و كناية وغيرها من الصور البيانية المعروفة.

أ-الجناس:

الجناس من فنون البديع اللفظية، عرّفه عبد الله بن المعتز في قوله: « **التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، و مجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها**»[1]

وحقيقة الجناس عند ابن الأثير «**أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفًا وذلك يعني أنّه هو اللفظ المشترك**»[2]

و على هذا الأساس فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق و اختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقًا المختلفان في المعنى يسميان ركني الجناس، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما تُعرف به المجانسة.[1]

[1] – عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 2015، ص195

[2] –عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 2015، ص196.

فالبديع الذي جاء به الشاعر محمد العيد ليس إغراقًا ولا تعقيدًا في الكلام، ولا بُعدًا بالصّورة و لكنّه لا يعدو بعض الحُلى اللفظية كالمقابلة و الجناس[2]. ومن أمثلة هذا البديع ما جاء به في قصيدة " **يا قبر**"، التي رثى فيها الامام عبد الحميد بن باديس:

وقَضَى بِهَا خَمْسِينَ عَامًا كُلَّها خَيْرٌ لِكُلِّ المُسْلِمِينَ وخِيَرُ[3]

فالجناس هنا تام بين لفظتي (خَيْرٌ) من الخَيْرُ ضدَّ الشَرّ، و (خِيرُ) توحي بالشرف و الكرم، وهذا دلالة على فضائل الإمَام بن باديس على كافّة المسلمين.

و كذلك قول الشاعر في قصيدة "**إلى صديقي الجيلالي**":

صَفْحةٌ تَحتَوِي عُلُوًّا وفَخْرًا سَوْفَ تَبقَى لابْنِ الجزَائِرِ ذُخْرًا[4]

ورد الجناس في هذا البيت ناقص بين الكلمتين (فَخرًا)، و (ذُخرًا) فدلّت الأولى على التعظيم والتذكير بجهود العالم بن شنب، أمّا الكلمة الثانية جاءت في سياق الانتفاع من علومه التي خلفها.

وفي قصيدة " **تأبين الشاذلي خزندار**" يقول محمد العيد:

سَاءَنَا رِزْءٌ بِهِ الدَّهرُ رَمَانَا فَأَمَانًا أيُّها الدَّهْرُ أَمَانَا[5]

جانس الشاعر بين لفظتي (رَمَانَا) و (أَمَانَا) جاء بهما في النّوع الناقص، ودلّت لفظة (رمَانَا) على ثقل المصيبة التي حلّت في أرض الخضراء، أمّا لفظة(أَمَانَا) فهي ضدّ الخوف جاءت للدلالة على حالة السكينة و الهدوء و الطمأنينة.

---

[1] – المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[2] – أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص228.

[3] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر،2010، ص474

[4] – المصدر نفسه، ص 451.

[5] –محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المعرفية، الجزائر، 2010، ص 479.

ويقول محمد العيد في قصيدة " **أبت النفس أن تراك عديمًا**":

قُمْ بِحَقِ الإِخَاءِ وارْثِ حَمِيمَا رَاحِلاً مُخْلِصَ الوَلَاءِ صَمِيمَا[1]

جاء الجناس في البيت ناقص بين لفظتي (حَمِيمَا) التي دلّت على مكانة هذا الفقيد العزيز المحبوب عند أمتّه، أمّا لفظة (صَمِيمَا) جاءت في معنى الصّدق الذي نشأ في جوهر البشير الابراهيمي.

ب–التكرار:

يعدّ التكرار ظاهرة فنّية وأسلوبا من الأساليب التعبيرية التي تُقوي المعاني وتُوسّع دلالتها، وظفها الأدباء في نثرهم وشعرهم، فقد ورد في معجم لسان العرب «التَكرار **بفتح التاء هو التَرْدادُ والتَرجيعُ من كَرَّ يَكُرُّ كَرًّا وتَكْرارًا، والكَرُّ الرُّجوعُ على الشيء ومنه التكرار، وكَرَّر الشيء أي أعاده مرّة بعد أخرى، ويُقال كَرَرتُ عليه الحديث إذاً رَدَدْتهُ عليه.**[2]

ويعرّف الأديب السِجِلْمَاسي التكرار أنّه «**إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النّوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النّوع، في القول مرتين فصاعدا، وهي اسم لمحمول يُشابه به شيء شيئا في جوهره.**»[3]

برزت خاصّية التكرار بكثرة في شعر محمد العيد سواء في الكلمات أو الحروف، و ذلك لتثبيت الفكرة في نفس المتلقي يقول الدكتور سعد الله في هذا المعنى:« **إنّ الشاعر يدرك أنّ مهمته ليست في إرضاء وجدانه فقط، بل في إرضاء وجدان الآخرين أيضاً.**»[4]

كمثال نذكر قوله في قصيدة "**إلى روح شوقي**":

فَقَدَ الشِعرُ من الشَرقِ شَمسًا لَمْ يَزلْ مِنهَا على الشَّرقِ نورُ

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المعرفية، الجزائر، 2010، ص488.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مادة(كرر)، مجلد3، ط1، (دت)، ص135 .

[3] – أبي محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع، مكتبة المعارف، المغرب،1980 ، ص 476

[4] – أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص217.

فقدَ الشعرُ من الشرقِ سَرْحًا طالما غَنَّت عليه الطُّيورُ

فقدَ الشعرُ أبا الشعرِ(شوقي) فَطَغَا الويْلُ بهِ و الثُّبورُ [1]

الشاعر مُعترف بموهبة شوقي الشعرية في نظم القصيدة وقول الشعر، حزين لرحيله فعبّر عن ألمه بتكراره لعبارة (فقد الشعر) عدّة مرات في أبيات مرثيته.

و نجد كذلك قول محمد العيد في قصيدة " **إلى صديقي الجيلالي**":

صَفْحةٌ تَحْتَوي عُلُوًّ وفَخْرًا سَوْفَ تَبْقَى لابْنِ الجزائِرِ ذُخْرًا

صَفحةٌ من حَياةِ أعظم شَيْخٍ كَانَ في مَطْلعِ الجزائِرِ بَدْرًا[2]

الشاعر يؤكّد إخلاص محمد بن أبي شنب لعلمه ووطنه الجزائر، فعبّر عن هذا الإخلاص بتكراره لكلمة (صفحة) و (الجزائر) مرتين في البيتين.

ج–لزوم ما لا يلزم:

سُمّي هذا النّوع من البديع اللفظي "الالتزام" أو "لزوم مالا يلزم"، وقد عدّه بن المعتز من محاسن الكلام، وعرّفه القزويني بقوله «**هو أن يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف وذلك بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.**»[3]

لقد كان محمد العيد ممن تأثروا بالشعراء القدامى في طريقة نظمهم للقصائد الشعرية، فالتزم بالحرف نفسه قبل الروي طوال القصيدة أو المقطوعة، حيث لا ينظم معه بقافية واحدة بل بقافيتين و لا يلتزم بقيد واحد بل بقيدين[4]، و في هذا قوله في قصيدة "**يا قبر**" يشكو ألمه و حزنه

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر، 2010، ص457.

[2] - المصدر نفسه، ص451.

[3] –عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 2015، ص232 – 233 .

[4] –ينظر. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984، ص229

يا قبرُ طبتَ وطابَ فيكَ عبيرُ هل أنتَ بالضَّيفِ العزيزِ خبيرُ هذا
(بنُ باديس) الامامُ المرتضَى (عبدُ الحميد) إلى حِماكَ يَصيرُ العالمُ الفَذُّ
الذي لِعلومهِ صِيتٌ بِأطرافِ البلادِ كبيرُ [1]

نظم الشاعر أبياته وفق ترتيب اللزوميات باعتبارها من أعمدة الشعر العربي القديم، لذا التزم به.

المعلوم عن الشعر أنّه من الفنون الجميلة التي تعتمد على كثير من الأدوات الفنيّة التي تستمد قيمتها منها، كالموسيقى الشعرية و الصور البيانية و المحسنات البديعية، و إذا رجعنا إلى شعر محمد العيد آل خليفة نجد أنّ قصائده الشعرية لا تخلو من هذه الصور الفنية، و أوّل ما يلفت النظر هو محافظته الشديدة على القصيدة العمودية، و التزامه المحكم بالأوزان التقليدية التي تعتمد القافية الواحدة.

فالشاعر رغم تنوّع نظمه بين القديم والجديد إلا أنّه استقر على التّقليد والمحافظة، نتيجة انتمائه لمدرسة المحافظين التي تهتم بقواعد الشعر العربي القديم.

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر،2010 ، ص 474.

الخاتمة

لقد كان هذا البحث تجربة مفيدة لي وناجحة لتوسيع درجة فكري حول ما قدّمه هذا الشاعر المتألق، فإن أصبت الهدف فهذا غرضي وإن أخطأت فلي شرف المحاولة والتعلّم، وعليه من اهم النتائج التي توصلت إليها:

• أنّ الرثاء أحد أغراض الشعر الغنائي التي تطورت في سائر العصور الأدبية، و عُرف بذكر مناقب الميّت و إظهار التفجّع لفقده.

• ضمّ شعر الرثاء ثلاثة أنواع وهي الندب، التأبين، والعزاء.

• عُرف محمد العيد آل خليفة بمكانته الأدبية باعتباره شاعرًا ومبدعًا وبليغًا ومصلحًا.

• يعدّ هذا الشاعر من الذين قدّروا قيمة علماء و أدباء عمّت أفضالهم الساحة الأدبية.

• غلب على شعر قصائده الطابع العربي القديم، نظراً لانتمائه إلى مدرسة المحافظين التي تهتم بالشعر القديم وأقوال الشعراء القدامى.

• تظهر أهمّ عناصر الإيقاع الموسيقي في مراثي محمد العيد في شدّة استعماله للبحور الخليلية المشهورة والتزامه القافية ذات الروي الواحد في نظم أبياته.

• تميّز شعر الرثاء عنده في ظاهرة التكرار، رغبة منه في تأكيد الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي.

برع العيد في استخدام صور البديع في قصائده.

• إنّ لهذا التغيير الفني الذي وُجد في شعر محمد العيد أثر في زيادة قصائده جمالاً ودقةً، وهذا ما يوضح لنا قدرته الشعرية الزاخرة وثقافته الواسعة في مختلف أنماط اللّغة.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع:

1-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، دار الجيل، بيروت، ط5،1981.

2-ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مجلد3، ط1، 2003.

3-أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، ط3، 1984.

4-أبو نواس الحسن بن هانئ، الديوان، الكتاب العربي، بيروت، ط2، 2001.

5- أبي ذؤيب الهذلي، الديوان، دار الكتب المصرية، بور سعيد، ط4 ، 1119.

6- أبي محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع، مكتبة المعارف، المغرب، 1980.

7- أحمد زروق، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، ليبيا،2007.

8-أحمد شوقي، الديوان، دار العودة، بيروت، مقدمة الجزء الأول، 1988.

9- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء الثالث، ط1997،1.

10-إسماعيل بن جماد الجوهري، الصحّاح، ترتيب مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط3، 2008.

11- إميل بديع يعقوب، علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1991،1.

12- بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء ، برج الكيفان، ، ط1، 2011.

13-حسّان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1993.

14- حسن فتح الباب، محمد العيد شاعر الجزائر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002.

15- الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، القاهرة ، ط3، 1994.

16- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني، ط2002،1 .

17- الخنساء، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.

18-سراج الدين محمد، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2008.

19-سليمة كبير، محمد العيد، شاعر العروبة والإسلام، الجزائر.

20-شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119

21-صالح خرفي، محمد العيد آل خليفة، الجزائر،2007.

22-عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

23- عبدالعزيز سعود، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط2002،2 .

24-عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 2015.

25- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة(أين ليلاي) لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

26- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2007.

27- عمار الطالبي، آثار بن باديس، الجزائر، ج3، ط3، 1997.

28-عبد غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

29-عمر فاروق، فنون الشعر العربي، دار القلم، بيروت، 1991.

30-فوّاز الشّعار، الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999.

31- محمد بن سمينة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،ط1 ، 1997.

32-محمد بن سمينة، دراسة تحليلية لحياة محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

33- محمد بن فلاح المطيري، القواعد العروضية و أحكام القافية العربية، مكتبة أهل الأثر، الكويت،ط1 ،2004 .

34-محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المتصدر، الجزائر، ط3، 2013.

35-محمّد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 1991.

36-محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

37- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج3، ط1، 2000.

38- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987 .

39-المهلهل بن ربيعة، الديوان، الدار العالمية،2008.

الدّوريات:

1-أحمد حماني، جريدة الشهاب، صراع بين السنة والبدعة، الجزائر، ج1 ،1984.

2-أسعد محمد علي النجار، الرثاء عند شعراء الحلة، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد 2، المجلد 2، 2012.

3- المبروك زيد الخير، الشيخ عبد الحميد بن باديس في شعر محمد العيد آل خليفة، مجلة الوعي، الأغواط، العدد1، 2010 .

4-جريدة الشهاب، المجلد 5، الجزء 2، شوال 1374، مارس 1929.

المواقع الإلكترونية:

1- شعبان البلطيني، هدية لراغبي علم العروض، موقع إلكتروني، ملتقى أهل الحديث، 15 مارس 2012 .

الرسائل الجامعيّة:

1- إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضدّ الإستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 169 .

2- عياد بلمهدي، قراءة واصفة في كتاب تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب لابن أبي شنب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2014.

المحتوى

شكروتقدير...../

إهداء ...../

مقدمة.....أ-ج

المدخل: **فن الرثاء و تطوره عبر العصور الأدبية**

1-التعريف اللغوي 3

2- التعريف الاصطلاحي 3-4

3-أنواع الرثاء 4

أ-الندب 4

ب-تأبين 7

ج-العزاء 9

4-تطور الرثاء عبر العصور 9

أ-العصر الجاهلي 10

ب-صدر الإسلام 10

ج-الأموي والعباسي 11

د-الأندلسي 11

هـ-الحديث 11

5-خصائص الرثاء 13

الفصل الأول: حياة محمد العيد آل خليفة

1- مولده و نشأته 17

2- صفاته الشخصية 19

3- مصادر ثقافته 20

4-محمد العيد رجل التصوف والإصلاح 21

5-آثاره العلمية 24

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لقصائد الرثاء في شعر محمد العيد آل خليفة

1- مضامين و أغراض شعره 28

2- رثاء العلماء في شعر محمد العيد آل خليفة 30

أ- رثاء عبد الحميد بن باديس 30

ب-رثاء محمد البشير الإبراهيمي 32

ج- رثاء محمد بن أبي شنب 34

3- رثاء الأدباء في شعر محمد العيد آل خليفة 36

أ- رثاء أحمد شوقي 36

ب- رثاء شاذلي خزندار 39

4- الدراسة الأدبية للقصائد الشعرية 41

أ-الأفكار 41

ب-العاطفة 42

ج-الأسلوب 42

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

1-الموسيقى الخارجية 45

أ-البحور المستعملة 45

1-الكامل 46

2-الخفيف 47

3-المديد 49

4-الرمل 50

ب-القافية 51

1-التعريف اللغوي.....51

2 -التعريف الإصطلاحي..... 51

3-القافية المطلقة.....52

2-الموسيقى الداخلية 54

أ-الجناس..... 54

ب-التكرار..... 56

ج-لزوم ما لا يلزم..... 57

الخاتمة 61

المصادر و المراجع..... 63-66

المحتوى 68-71

الملخص:

برز فن الرثاء مند القديم و تطوّرت نماذجه عبر العصور الأدبية، فكان محمد العيد آل خليفة من بين الشعراء الذين اشتهروا بهذا الفن و طبّقه في تمجيد ذكرى علماء و أدباء كانوا ذو مكانة مرموقة.

الكلمات المفتاحية: رثاء – علماء– أدباء– شعر– محمد العيد

Résumé :

L'art de la lamenter a émergé de l'ancien et a développé ses modèles à travers l'âge littéraire, Mohammed Al-Eid Al-Khalifa était parmi les poètes qui étaient célèbres pour cet art et sa classe pour glorifier la mémoire des scientifiques et des écrivains étaient d'un statut prestigieux.

Mots-clés: Lamentations - Étudiants - Littérature - Poésie - Mohamed Eid

Abstract:

The art of lament emerged from the old and developed its models through the literary ages, Mohammed Al-Eid Al-Khalifa was among the poets who were famous for this art and its class in glorifying the memory of scientists and writers were of a prestigious status.

Keywords: Lamentations - Scholars - Literature - poetry - Mohamed Eid